سلسلة تقريب السنة لعموم الأمة ٠٤

تهذيب كتاب

أَخْلَاقُ العُلَمَاءِ

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيّ البغداديّ

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

رحمه الله تعالى

هذَّبه وعلَّق عليه

محمد الأمين عَبلاوي

غفر الله له ولوالديه

منشورات

مركز الأثر للبحث والتحقيق

تهذيب كتاب
أخلاق العلماء للآجري

حقوق الطبع محفوظة

لمركز الأثر للبحث والتحقيق
ولا بأس بالطبع والنشر الخيري
وما عداه فيُرجى التواصل مع
إدارة المركز

مركز الأثر للبحث والتحقيق
الشراقة–الجزائر
00213665846124
markzalathar
markzalathar@gmail.com

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ – ٢٠٢٥م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سلسلة تقريب السنة لعموم الأمة ٠٤

تهذيب كتاب

أَخْلَاقُ العُلَمَاءِ

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيّ البغداديّ

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

رحمه الله تعالى

هذَّبه وعلَّق عليه

محمد الأمين عَبلاوي

غفر الله له ولوالديه

منشورات

مركز الأثر للبحث والتحقيق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة اَلتَّهْذِيب

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، اَلرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَصَلَّى اَللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بُعْدُ؛ فَهَذَا تَهْذِيبٌ لِرِسَالَةِ (أَخْلَاقُ العُلَمَاءِ)[2] لِلْإِمَامِ الحَافِظِ أَبِيِّ بَكْرْ الآجِرِي رَحِمَهُ اَللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى «بَيَانِ مَنْزِلَةِ العلَمِ وَشَرَفِهِ، وَشَرَفَ أَهْلِهِ العَامِلِينَ بِهِ، وَبَيَانَ مَكَانَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اَللَّهِ تَعَالَى، وَمَا هِيَ أَوْصَافُهُمْ اَلَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّوْا بِهَا حَتَّى يَكُونُوا عُلَمَاءَ رَبَّانِيِّينَ كَمَا وَصَفَهُمْ اَللَّهُ تَعَالَى »[3]

وَجَعَلَهَا المُؤَلِّفُ عَلَى أربعة أَبْوَابٍ، ذَكَرَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى مَوَاضِيعِهَا مِنْ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ وَالآثَارِ، ثُمَّ خَتَمَ بِفَصْلٍ ذكَر فيه صِفَات العَالم الجَاهِلِ المُفْتَتِنِ بِعِلْمِهِ.

---

(2) اعتمدت في تهذيبها على طبعة قديمة، لا أجدها الآن، وهي مطبوعة ضمن (الجامع لكتب الإمام الآجري)، وطبعت مفردة طبعات عدة، منها طبعة (أضواء السلف) سنة 1428.

(3) من مقدمة الكتاب (ص 177 ضمن الجامع لكتب الإمام الآجري) للشيخ عادل آل حمدان.

مَنهجُ التَّهْذِيبِ:

- حَذَفْتُ أَسَانِيدَ مَا أَوْرَدَهُ المُؤَلِّفُ مِنَ الرِّوَايَاتِ؛ إِلَّا مَا انْتَهَى إِلَيْهِ السَّندُ مِنَ الصَّحَابِيِّ أَوْ منْ دُونَهِ.

- اقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى مَا ثبَتَ مِنَ الأَحَادِيْثِ وَالآثَارِ، وَاسْتَبَعَدْتُ مَا لَمْ يُثْبَتْ.

- قُمْتُ بِتَخْرِيجِ الأَحَادِيْثِ وَالآثَارِ تَخْرِيجًا مُخْتَصَرًا، مَعَ بَيَانِ دَرَجَةِ كُلِّ حَدِيثٍ أَوْ أَثَرٍ.

- عَلَّقْتُ عَلَى مَوَاضِعٍ يَسِيرَةٍ مِنْهُ.

وَاللَّهِ تَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا العَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَقَارِئِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، إِنَّهُ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ ، وَأَهْلُ الرَّجَاءِ ، وَهُوَ حَسْبِيْ وَنِعْمَ الوَكِيْلِ.

وكَتَبَ:

محمَّد الأمين عَبلاوي

البريد الالكتروني:

maa.abouaziz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[مُقَدّمةُ المصَنّف]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، اخْتَصَّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَحَبَّ، فَهَدَاهُمْ لِلْإِيمَانَ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَحَبَّ، فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُمُ التَّأْوِيلَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ، رَفَعَهُمْ بِالْعِلْمِ وَزَيَّنَهُمْ بِالْحِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالضَّارُّ مِنَ النَّافِعِ، وَالْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ. فَضْلُهُمْ عَظِيمٌ، وَخَطَرُهُمْ[1] جَزِيلٌ، وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُرَّةُ عَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ، الْحِيتَانُ فِي الْبِحَارِ لَهُمْ تَسْتَغْفِرُ، وَالْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا لَهُمْ تَخْضَعُ، وَالْعُلَمَاءُ فِي الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُمْ تُفِيدُ الْحِكْمَةَ، وَبِأَعْمَالِهِمْ يَنْزَجِرُ أَهْلُ الْغَفْلَةِ، هُمْ أَفْضَلُ مَنْ الْعُبَّادِ، وَأَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الزُّهَّادِ، حَيَاتُهُمْ غَنِيمَةٌ، وَمَوْتُهُمْ مُصِيبَةٌ، يُذَكِّرُونَ الْغَافِلَ، وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ، لَا يُتَوَقَّعُ لَهُمْ بَائِقَةٌ، وَلَا يُخَافُ مِنْهُمْ غَائِلَةٌ، بِحُسْنِ تَأْدِيبِهِمْ يَتَنَازَعُ الْمُطِيعُونَ، وَبِجَمِيلِ مَوْعِظَتِهِمْ يَرْجِعُ الْمُقَصِّرُونَ، جَمِيعُ الْخَلْقِ إِلَى عِلْمِهِمْ مُحْتَاجٌ، وَالصَّحِيحُ عَلَى مَنْ خَالَفَ بِقَوْلِهِمْ

(1) أي: قدرهم ومنزلتهم.

مِحْجَاجٌ. الطَّاعَةُ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجِبَةٌ، وَالْمَعْصِيَةُ لَهُمْ مُحَرَّمَةٌ، مَنْ أَطَاعَهُمْ رَشَدَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَنَدَ[1]، مَا وَرَدَ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْرٍ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَقَفَ فِيهِ فَبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ يَعْمَلُ، وَعَنْ رَأْيِهِمْ يَصْدُرُ، وَمَا وَرَدَ عَلَى أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُكْمٍ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ فَبِقَوْلِهِمْ يَعْمَلُونَ، وَعَنْ رَأْيِهِمْ يَصْدُرُونَ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَى قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُكْمٍ، فَبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ يَحْكُمُونَ، وَعَلَيْهِ يُعَوِّلُونَ، فَهُمْ سِرَاجُ الْعِبَادِ، وَمَنَارُ الْبِلَادِ، وَقِوَامُ الْأُمَّةِ، وَيَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، هُمْ غَيْظُ الشَّيْطَانِ، بِهِمْ تَحْيَا قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَتَمُوتُ قُلُوبُ أَهْلِ الزَّيْغِ، مَثَلُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ تَحَيَّرُوا[2]، وَإِذَا أَسْفَرَ عَنْهَا الظَّلَامُ أَبْصَرُوا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا دَلَّ عَلَى مَا قُلْتُ؟

قِيلَ لَهُ: الْكِتَابُ، ثُمَّ السَّنَّةُ.

فَإِنْ قَالَ: فَاذْكُرْ مِنْهُ، إِذَا مَا سَمِعَهُ الْمُؤْمِنُ، سَارَعَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ اللَّهُ ﷻ، وَرَسُولُهُ ﷺ.

(1) ابتعد وحاد.

(2) أي: لم يهتدوا إلى سبيلهم.

قِيلَ لَهُ:

أَمَّا دَلِيلُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:11]، فَوَعَدَ اللَّهُ – ﷻ – الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْفَعَهُمْ، ثُمَّ خَصَّ الْعُلَمَاءَ مِنْهُمْ بِفَضْلِ الدَّرَجَاتِ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾ [فاطر:28]، فَأَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَخْشَاهُ الْعُلَمَاءُ بِهِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:269]

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان:12]

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:79]

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ﴾، يُقَالُ: فُقَهَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:24]

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 63]

وَهَذَا النَّعْتُ وَنَحْوُهُ فِي الْقُرْآنِ، يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَهُمْ أَئِمَّةً لِلْخَلْقِ يَقْتَدُونَ بِهِمْ.

[1] عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة:269]، قَالَ: الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ. (1)

[2] عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [يوسف: 22]، قَالَ: الْفِقْهُ، وَالْعَقْلُ، وَالْعِلْمُ. (2)

[3] عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان:12]، قَالَ: الْعَقْلُ، وَالْفِقْهُ، وَالإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ فِي غَيْرِ نُبُوَّةٍ. (3)

---

(1) رواه ابن أبي شيبة (508/12) وابن أبي حاتم في التفسير (531/2) وأبو نعيم في الحلية (292/3) - عن المؤلف - وابن جرير في التفسير (9/5 هجر) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (2 /28).

ولفظ ابن أبي شيبة وابن جرير: ليس النبوة، ولكن العلم والفقه والقرآن.

(2) رواه مجاهد في تفسيره (ص541) وابن أبي حاتم (532/2) وابن جرير في التفسير (546/18).

(3) رواه عبد الرزاق في التفسير (21/3).

[4] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]، قَالَ: أُولُو الْفِقْهِ وَالْخَيْرِ.(1)

[5] عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]، قَالَ: الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ.(2)

* * * * *

(1) رواه الحاكم (1 /211) وتمام في الفوائد (631) والخطيب في الفقيه والمتفقه (91) وابن جرير في التفسير (7/179 هجر).

وروى ابن جرير (7 /180) مثله عن عطاء.

(2) رواه سعيد بن منصور في «التفسير من سننه» (653) ورواه أبو خيثمة في «العلم» (62) والمؤلف في «أخلاق حملة القرآن» (65) - وعنه أبو نعيم في «الحلية» (3 /293) - وابن جرير في «التفسير» (5/95) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (94) من طرق عن مجاهد.

ويروى عن الحسن، رواه عنه ابن أبي حاتم في التفسير (3/989) وآدم بن إياس في العلم والحلم (77) وابن جرير في التفسير (5/149).

بَابُ ذِكْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ وَالْآثَارُ مِنْ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

[6] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"وَلَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"**(1)

كَيْفَ لَا يَكُونُ الْعُلَمَاءُ كَذَلِكَ؟ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

[7] **"مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"**(2)

---

(1) **حسن لغيره**. أخرجه ابن أبي شيبة في المسند (47) وأحمد (45/36 - 46) وأبوداود (3641) والترمذي (2682) والدارمي (83/1) وابن ماجه (223) وابن حبان (80 ـ موارد) والبغوي في «شرح السنة» (129) وابن عبد البر في «الجامع» (169، 172، 173) بإسناد ضعيف.

وللحديث تتمة في أوله، تأتي في الكتاب قريبا (14).

وله طريق آخر يتقوى به، رواه أبوداود (3642) بإسناد حسن، كما في «صحيح الترغيب» (68).

وله طرق أخرى وشواهد عن جمع من الصحابة، فلتراجع في تعليق الشيخ أبي الاشبال الزهيري على «جامع ابن عبد البر» (160/1- 167).

(2) **صحيح**. وقد رواه المصنف من حيث أبي هريرة، ومعاوية، وابن عباس.

أما حديث أبي هريرة، فأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (91/1) من طريق المصنف بإسناده واه. وله طريق آخر، أخرجه ابن ماجه (220) والطبراني في «الصغير» (797).

وأما حديث معاوية، فأخرجه البخاري (71) ومسلم (1037/98و1923/175) وأحمد (92/4).

وأما حديث ابن عباس، فرواه الترمذي (2645) والدارمي (65/1)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ خَيْرًا، فَقَّهَهُمْ فِي دِينِهِ، وَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَصَارُوا سُرُجًا لِلْعِبَادِ، وَمَنَارًا لِلْبِلَادِ.

[8] عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا. (1)

[9] عَنْ مُوسَى بْنِ يَسَارٍ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ﷺ كَتَبَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: إِنَّ الْعِلْمَ كَالْيَنَابِيعِ يَغْشَى النَّاسَ، فَيَخْتَلِجُهُ هَذَا وَهَذَا، فَيَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ، وَإِنَّ حِكْمَةً لَا يُتَكَلَّمُ بِهَا كَجَسَدٍ لَا رُوحَ فِيهِ، وَإِنَّ عِلْمًا لَا يُخْرَجُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُعَلِّمِ كَمَثَلِ رَجُلٍ عَمِلَ سِرَاجًا فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ مَرَّ بِهِ، وَكُلٌّ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ. (2)

---

(1) رواه آدم بن إياس في العلم والحلم (118) بإسناد ضعيف، وزاد في آخره: وكمثل الملح في الطعام.

وقد ثبت مثله عن أبي مسلم الخولاني، رواه أبو نعيم في الحلية (120/5) والبيهقي في المدخل إلى السنن (393).

ويروى الحديث مرفوعا، أخرجه أحمد (52/20) من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف.

(2) إسناده ضعيف للإنقطاع بين موسى بن يسار وسلمان.

وقد رواه الدارمي (رقم 557)، لكن قال: عن موسى بن يسار عن عمه قال: بلغني أن سلمان.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7 / 121) نحو رواية الدارمي.

فَمَا ظَنُّكُمْ -رَحِمَكُمُ اللَّهُ- بِطَرِيقٍ فِيهِ آفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَيَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى سُلُوكِهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِصْبَاحٌ وَإِلَّا تَحَيَّرُوا، فَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُمْ فِيهِ مَصَابِيحَ تُضِيءُ لَهُمْ، فَسَلَكُوهُ عَلَى السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ، ثُمَّ جَاءَتْ طَبَقَاتٌ مِنَ النَّاسِ لَابُدَّ لَهُمْ مِنَ السُّلُوكِ فِيهِ، فَسَلَكُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طُفِئَتِ الْمَصَابِيحُ، فَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِهِمْ؟ هَكَذَا الْعُلَمَاءُ فِي النَّاسِ لَا يَعْلَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَيْفَ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَكَيْفَ اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَلَا كَيْفَ يُعْبَدُ اللَّهُ فِي جَمِيعِ مَا يَعْبُدُهُ بِهِ خَلْقُهُ، إِلَّا بِبَقَاءِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا مَاتَ الْعُلَمَاءُ تَحَيَّرَ النَّاسُ، وَدَرَسَ الْعِلْمُ بِمَوْتِهِمْ، وَظَهَرَ الْجَهْلُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مُصِيبَةٌ مَا أَعْظَمَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ؟

[10] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، إِنَّمَا يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**"(1)

[11] عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ﵁ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ كَيْفَ يُنْقَصُ الْإِسْلَامُ؟ قَالُوا كَيْفَ؟ قَالَ: كَمَا يُنْقِصُ الدَّابَّةَ سِمَنُهَا، وَكَمَا يَنْقُصُ الثَّوْبُ عَنْ طُولِ اللُّبْسِ، وَكَمَا يَنْقُصُ الدِّرْهَمُ عَنْ طُولِ الْخَبْتِ،

(1) صحيح. أخرجه البخاري (100) ومسلم (2673).

وَقَدْ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ عَالِمَانِ، فَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، فَيَذْهَبُ نِصْفُ عِلْمِهِمْ، وَيَمُوتُ الْآخَرُ، فَيَذْهَبُ عِلْمُهُمْ كُلُّهُ. (1)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :رضي الله عنه [البحر المتقارب]

كَلاَمُ الْحَكِيمِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... كَوَبْلِ السَّمَاءِ غيَّاث الأُمَمْ
فَنُطْقُ الْحَكِيمِ جِلاَءُ الظَّلاَمِ ... وَصَمْتُ الْحَكِيمِ وعاءُ الْحِكَمْ
حَيَاةُ الْحَكِيمِ جِلاَءُ الْقُلُوبِ ... كَضَوْءِ النَّهَارِ يُجَلِّي الظُّلَمْ

[12] وَرُوِيَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخِلَّاءِ، وَالْقُرْبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا، فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَلْقِ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ، وَأَئِمَّةً فِي الْخَلْقِ تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي حُبِّهِمْ، بِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، حَتَّى كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ لَهُمْ مُسْتَغْفِرٌ، حَتَّى حِيتَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى،

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (9 /203 /رقم 8991) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (147) نحوه.
وقال محقق الفقيه والمتفقه: إسناده صحيح.

وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ، وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ، يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَحْرَارِ، وَمُجَالَسَةَ الْمُلُوكِ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْفِكْرُ بِهِ يُعْدَلُ بِالصِّيَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ ﷻ، وَبِهِ يُعْبَدُ اللَّهُ ﷻ، وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ، وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ. (1)

[13] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ**"(2)

[14] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَا سَلَكَ عَبْدٌ طَرِيقًا يَقْتَبِسُ فِيهِ عِلْمًا إِلَّا سَلَكَ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ**

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (1 /239) وابن عبد البر في «الجامع» (269) بإسناد هالك.
ورواه ابن بشران في «الأمالي» (999) من طريق أخرى.
ورواه ابن عبد البر (268) ـ أيضا ـ عن معاذ مرفوعا، وقال عقبه: «وهو حديث حسن جدا، ولكن ليس إسناده بالقوي».
وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (1 / 112): «أراد به الحسن المعنوي، لا الحسن المصطلح عليه بين أهل الحديث ؛ فإن فيه موسى بن محمد البلقاوي، كذبه أبو زرعة وأبو حاتم» إهـ.
وقال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (1 / 395): ورواه البغوي في «المعجم» من حديث معاذ مرفوعا إلى النبي ﷺ، ولا يثبت، وحسبه أن يصل إلى معاذ. إهـ.
(2) **حسن**. وقد تقدم تخريجه (6).

لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ"(1)

[15] عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ ﷺ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ فَقَالَ: **"مَرْحَبًا يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغُوا سَمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ"**(2)

وفي رواية: قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا

---

(1) **حسن**. وقد تقدم تخريجه (6).

(2) **صحيح لغيره**. رواه الحاكم (1 /101) والطبراني (8/63- 64 / 7347).

وأخرجه الحاكم (1 /100) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (3377) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (162) بسند أقوى منه.

والرواية الأخرى عند: عبد الرزاق (793) وابن ماجه (226) والدارقطني (1/196-197) وأحمد (4/239- 240) وابن حبان (79) وابن خزيمة (193) والطبراني في الكبير (7352) وابن عبد البر (163 - 166) بسند فيه ضعف.

وهي عند الترمذي (3535) والنسائي (158) وابن حبان (1100، 1321) والطبراني (7349) وأبي خيثمة في «العلم» (5) وابن عبد البر (167) موقوفا على صفوان، ولا يضر وقفه ؛ فإن مثله لا يقال بالرأي، كما قال ابن عبد البر (1 /159).

مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِمَا يَصْنَعُ"

[16] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"(1)

[17] عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:201]، قَالَ: الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا: الْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ، وَالْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ.(2)

فَالْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ حَالٍ لَهُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ فِي خُرُوجِهِمْ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَفِي مُجَالَسَتِهِمْ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، وَفِي مُذَاكَرَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، وَفِيمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ الْعِلْمَ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، وَفِيمَنْ عَلَّمُوهُ الْعِلْمَ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِلْعُلَمَاءِ الْخَيْرَ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِالْعِلْمِ.

---

(1) صحيح. أخرجه مسلم (38 /2699) والترمذي (2646 و2945) وأبوداود (3643) وابن ماجه (225). وقال الترمذي: حديث حسن.

وزادوا: «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

(2) صحيح. رواه ابن جرير في «التفسير» (2 / 300) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (252، 253 زهيري).

وجاء مثله عن سفيان الثوري، أخرجه ابن جرير (175/2) وأبو القاسم الجوهري في «مسند الموطأ» (6) وقال محققه: إسناده صحيح.

[18] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أُجْرِيَ لَهُ مَا عُمِلَ بِهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهُ يَجْرِي مَا جَرَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ أَوْلَادًا صِغَارًا فَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ**"(1)

[19] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: مُعَلِّمُ الْخَيْرِ وَمُتَعَلِّمُهُ، يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ. (2)

[20] عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا، قِيلَ لَهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل:120]، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّا

---

(1) **صحيح لغيره**. أخرجه أحمد (36/556، 585) بإسناد ضعيف.

ورواه الطبراني في «الكبير» (8 / 205 رقم 7831) من طريق أخرى، وإسناده ضعيف أيضا.

وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعا: إذا مات الإنسان، انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. أخرجه مسلم (14/1631).

وقال المنذري في «الترغيب» (رقم110 - صحيحه): وهو صحيح مفرقا من حديث غير واحد من الصحابة ﷺ.

(2) **صحيح**. رواه آدم بن إياس في العلم والحلم (121) بإسناد ضعيف.

ورواه معمر بن راشد في «الجامع» (10 /475) - ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (181) - وابن أبي شيبة في «لمصنف» (14 /362) - ومن طريقه ابن عبد البر (796) - والدارمي (343). ولفظ معمر: إن معلم الخير لتصلي عليه دواب الأرض، حتى الحيتان في البحر. وقال محقق جامع بيان العلم: إسناده صحيح.

كُنَّا نُشَبِّهُ مُعَاذًا بِإِبْرَاهِيمَ قَالَ: قِيلَ لَهُ: فَمَا الْقَانِتُ؟ قَالَ: الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. (1)

قَدِ اخْتَصَرْتُ مِنْ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ، وَمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ ﷻ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ بَلَاغٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الطَّلَبَ لِلْعِلْمِ، لِيَكُونَ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ﷻ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَنْ عَلَّمَ الْعِلْمَ، وَحَفِظَهُ، وَنَاظَرَ فِيهِ، يَدْخُلُ فِي هَذَا الْفَضْلِ الَّذِي ذَكَرْتَ؟

قِيلَ لَهُ: أَرْجُو أَنْ لَا يُخْلِيَ اللَّهُ كُلَّ مُسْلِمٍ طَلَبَ الْخَيْرَ وَالْعِلْمَ مِنْ خَيْرِهِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَكِنْ قَدْ ذُكِرَتْ لَهُمْ أَوْصَافٌ وَأَخْلَاقٌ، فَنَحْنُ نَذْكُرُهَا، فَمَنْ تَدَبَّرَهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ شَكَرَ اللَّهَ ﷻ عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَوْصَافُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ مِمَّنْ عِلْمُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ﷻ، وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ مِنْ قَرِيبٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

---

(1) **صحيح لغيره**. رواه أبو نعيم (1 / 230) بإسناد ضعيف منقطع.

ورواه البيهقي في «المدخل» (389) من طريق أخرى، وهو منقطع أيضا.

لكن له طرقا أخرى: فرواه الحاكم (2 /390 و3 /305)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (237/4) من رواية الشعبى عن مسروق، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال الحافظ: إسناده صحيح.

ورواه الحاكم (3 /305) - أيضا - والطبراني (60/10 /9947) وأبو نعيم (1 /230) من طريق الشعبي عن فروة بن نوفل.

بَابُ أَوْصَافِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ نَفَعَهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

لِهَذَا الْعَالِمِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ شَتَّى، وَمَقَامَاتٌ لَابُدَّ لَهُ مِن اسْتِعْمَالِهَا، فَهُوَ مُسْتَعْمِلٌ فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ؛

فَلَهُ صِفَةٌ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ: كَيْفَ يَطْلُبُهُ؟

وَلَهُ صِفَةٌ فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ فَيُلْزِمَهُ نَفْسَهُ؟

وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا جَالَسَ الْعُلَمَاءَ: كَيْفَ يُجَالِسُهُمْ؟

وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: كَيْفَ يَتَعَلَّمُ؟

وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ؟

وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا نَاظَرَ فِي الْعِلْمِ: كَيْفَ يُنَاظِرُ؟

وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا أَفْتَى النَّاسَ: كَيْفَ يُفْتِي؟

وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُجَالِسُ الْأُمَرَاءَ إِذَا ابْتُلِيَ بِمُجَالَسَتِهِمْ؟ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَالِسَهُ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ؟

وَلَهُ صِفَةٌ عِنْدَ مُعَاشَرَتِهِ لِسَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ.

وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يَعْبُدُ اللَّهَ ﷻ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؟

قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُهُ مَا يُقَوِّيهِ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَقَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنْ شَرِّهَا فِي دِينِهِ، عَالِمٌ بِمَا يَجْتَلِبُ بِهِ الطَّاعَاتِ، عَالِمٌ بِمَا يَدْفَعُ بِهِ الْبَلِيَّاتِ، قَدِ اعْتَقَدَ الْأَخْلَاقَ السَّنِيَّةَ، وَاعْتَزَلَ الْأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ.

ذِكْرُ صِفَتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

فَمِنْ صِفَتِهِ لِإِرَادَتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَرَضَ عَلَيْهِ عِبَادَتَهُ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَعَلِمَ أَنَّ الْعِلْمَ فَرِيضَةٌ عَلَيْهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَهْلُ، فَطَلَبَ الْعِلْمَ لِيَنْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ الْجَهْلَ، وَلِيَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا أَمَرَهُ، لَيْسَ كَمَا تَهْوَى نَفْسُهُ، فَكَانَ هَذَا مُرَادَهُ فِي السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، مُعْتَقِدًا لِلْإِخْلَاصِ فِي سَعْيِهِ، لَا يَرَى لِنَفْسِهِ الْفَضْلَ فِي سَعْيِهِ، بَلْ يَرَى لِلَّهِ ﷻ الْفَضْلَ عَلَيْهِ، إِذْ وَفَّقَهُ لِطَلَبِ عِلْمِ مَا يَعْبُدُهُ بِهِ مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

ذِكْرُ صِفَتِهِ فِي مَشْيِهِ إِلَى الْعُلَمَاءِ

يَمْشِي بِرِفْقٍ وَحِلْمٍ، وَوَقَارٍ، وَأَدَبٍ، مُكْتَسِبٌ فِي مَشْيِهِ كُلَّ خَيْرٍ، تَارَةً يُحِبُّ الْوَحْدَةَ، فَيَكُونُ لِلْقُرْآنِ تَالِيًا، وَتَارَةً بِالذِّكْرِ مَشْغُولًا، وَتَارَةً يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِنِعَمِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِ، وَيَقْتَضِي مِنْهَا الشُّكْرَ.

يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَلِسَانِهِ، وَنَفْسِهِ، وَشَيْطَانِهِ.

فَإِنْ بُلِيَ بِمُصَاحَبَةِ النَّاسِ فِي طَرِيقِهِ، لَمْ يُصَاحِبْ إِلَّا مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، قَدْ أَقَامَ الْأَصْحَابَ مَقَامَ ثَلَاثَةٍ:

- إِمَّا رَجُلٌ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ خَيْرًا، إِنْ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُ.
- أَوْ رَجُلٌ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْعِلْمِ، فَيُذَاكِرُهُ الْعِلْمَ لِئَلَّا يَنْسَى مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْسَاهُ.
- أَوْ رَجُلٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَيُعَلِّمُهُ، يُرِيدُ اللَّهَ ﷻ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ.

لَا يَمَلُّ مِنْ أَصْحَابِهِ لِكَثْرَةِ صُحْبَةٍ، بَلْ يُحِبُّ ذَلِكَ لِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَتِهِ، قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْخِصَالِ، خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، قَدْ أَجْمَعَ الْحَذَرَ مِنْ عَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُزَيِّنَ لَهُ قَبِيحَ مَا نُهِيَ عَنْهُ.

يُكْثِرُ الِاسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَيَسْأَلُهُ عِلْمًا نَافِعًا.

هَمُّهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ: الْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى.

وَفِي حِفْظِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ: الْفِقْهُ؛ لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَلِأَنْ يَتَأَدَّبَ بِالْعِلْمِ.

طَوِيلُ السُّكُوتِ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ، حَتَّى يَشْتَاقَ جَلِيسُهُ إِلَى حَدِيثِهِ.

إِنِ ازْدَادَ عِلْمًا خَافَ مِنْ ثَبَاتِ الْحُجَّةِ، فَهُوَ مُشْفِقٌ فِي عِلْمِهِ، كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا ازْدَادَ إِشْفَاقًا، إِنْ فَاتَهُ سَمَاعُ عِلْمٍ قَدْ سَمِعَهُ غَيْرُهُ فَحَزِنَ عَلَى فَوْتِهِ،

لَمْ يَكُنْ حُزْنُهُ بِغَفْلَةٍ حَتَّى يَوَاقِفَ نَفْسَهُ، وَيُحَاسِبَهَا عَلَى الْحُزْنِ، فَيَقُولُ: لِمَ حَزِنْتِ؟ احْذَرِي يَا نَفْسُ أَنْ يَكُونَ الْحُزْنُ عَلَيْكِ، لَا لَكِ، إِذْ سَمِعَهُ غَيْرُكِ، فَلَمْ تَسْمَعِيهِ أَنْتِ، فَكَانَ أَوْلَى بِكِ أَنْ تَحْزَنِي عَلَى عِلْمٍ قَدْ قَرَعَ السَّمْعَ، وَقَدْ ثَبَتَتْ عَلَيْكِ بِهِ الْحُجَّةُ فَلَمْ تَعْمَلِي بِهِ، فَكَانَ حُزْنُكِ عَلَى ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ حُزْنِكِ عَلَى عِلْمٍ لَمْ تَسْمَعِيهِ، وَلَعَلَّكِ لَوْ قُدِّرَ لَكِ سَمَاعُهُ كَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْكِ أَوْكَدَ، فَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْ حُزْنِهِ، وَسَأَلَ مَوْلَاهُ الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِمَا قَدْ سَمِعَ.

صِفَةُ مُجَالَسَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ

فَإِذَا أَحَبَّ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ جَالَسَهُمْ بِأَدَبٍ، وَتَوَاضُعٍ فِي نَفْسِهِ، وَخَفَضَ صَوْتَهُ عَنْ صَوْتِهِمْ، وَسَأَلَهُمْ بِخُضُوعٍ، وَيَكُونُ أَكْثَرُ سُؤَالِهِ عَنْ عِلْمِ مَا تَعَبَّدَهُ اللَّهُ بِهِ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ فَقِيرٌ إِلَى عِلْمِ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ، فَإِذَا اسْتَفَادَ مِنْهُمْ عِلْمًا أَعْلَمَهُمْ: أَنِّي قَدْ أُفِدْتُ خَيْرًا كَثِيرًا، ثُمَّ شَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

وَإِنْ غَضِبُوا عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِمْ، وَنَظَرَ إِلَى السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ غَضِبُوا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ عَنْهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ.

لَا يُضْجِرُهُمْ فِي السُّؤَالِ، رَفِيقٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، لَا يُنَاظِرُهُمْ مُنَاظَرَةً يُرِيهِمْ: أَنِّي أَعْلَمُ مِنْكُمْ. وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ الْبَحْثُ لِطَلَبِ الْفَائِدَةِ مِنْهُمْ، مَعَ حُسْنِ التَّلَطُّفِ لَهُمْ، لَا يُجَادِلُ الْعُلَمَاءَ، وَلَا يُمَارِي السُّفَهَاءَ، يُحْسِنُ التَّأَنِّي لِلْعُلَمَاءِ مَعَ تَوْقِيرِهِ لَهُمْ، حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا يَزْدَادُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ فَهْمًا فِي دِينِهِ.

صِفَتُهُ إِذَا عُرِفَ بِالْعِلْمِ

فَإِذَا نَشَرَ اللَّهُ لَهُ الذِّكْرَ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، أَلْزَمَ نَفْسَهُ التَّوَاضُعَ لِلْعَالِمِ وَغَيْرِ الْعَالِمِ؛

- فَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِمَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّهَا مَحَبَّةٌ تَنْبُتُ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ.
- وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِلْعُلَمَاءِ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ، إِذْ أَرَاهُ الْعِلْمُ ذَلِكَ.
- وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ، فَشَرَفُ الْعِلْمِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ.

وَكَانَ مِنْ صِفَتِهِ فِي عِلْمِهِ وَصِدْقِهِ وَحُسْنِ إِرَادَتِهِ يُرِيدُ اللَّهَ بِعِلْمِهِ، فَمِنْ صِفَتِهِ أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ شَرَفَ مَنْزِلَةٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ، وَلَا يَحْمِلُهُ إِلَيْهِمْ، صَائِنٌ لِلْعِلْمِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى الْعِلْمِ ثَمَنًا، وَلَا يَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ، وَلَا يُقَرِّبُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا، وَيُبَاعِدُ الْفُقَرَاءَ، وَيَتَجَافَى عَنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، يَتَوَاضَعُ لِلْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِيُفِيدَهُمُ الْعِلْمَ.

وَإِنْ كَانَ لَهُ مَجْلِسٌ قَدْ عُرِفَ بِالْعِلْمِ، أَلْزَمَ نَفْسَهُ حُسْنَ الْمُدَارَاةِ لِمَنْ جَالَسَهُ، وَالرِّفْقَ بِمَنْ سَاءَلَهُ، وَاسْتِعْمَالَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَيَتَجَافَى عَنِ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ.

[أَخْلَاقُهُ مَعَ مُجَالِسِيهِ]

فَأَمَّا أَخْلَاقُهُ مَعَ مُجَالِسِيهِ، فَصَبُورٌ عَلَى مَنْ كَانَ ذِهْنُهُ بَطِيئًا عَنِ الْفَهْمِ حَتَّى يَفْهَمَ عَنْهُ، صَبُورٌ عَلَى جَفَاءِ مَنْ جَهِلَ عَلَيْهِ حَتَّى يَرُدَّهُ بِحِلْمٍ، يُؤَدِّبُ جُلَسَاءَهُ بِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ، لَا يَدَعُهُمْ يَخُوضُونَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالإِنْصَاتِ مَعَ الِاسْتِمَاعِ إِلَى مَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ.

فَإِنْ تَخَطَّى أَحَدُهُمْ إِلَى خُلُقٍ لَا يَحْسُنُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ، لَمْ يَجْبَهْهُ فِي وَجْهِهِ عَلَى جِهَةِ التَّبْكِيتِ لَهُ. وَلَكِنْ يَقُولُ: لَا يَحْسُنُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ كَذَا وَكَذَا، وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَجَافَوْا عَنْ كَذَا وَكَذَا، فَيَكُونُ الْفَاعِلُ لِخُلُقٍ لَا يَحْسُنُ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِهَذَا، فَيُبَادِرُ بِرِفْقِهِ بِهِ، إِنْ سَأَلَهُ مِنْهُمْ سَائِلٌ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ رَدَّهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا يَعْنِيهِ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَى عِلْمٍ قَدْ غَفِلُوا عَنْهُ أَبْدَاهُ إِلَيْهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ شِدَّةَ فَقْرِهِمْ إِلَيْهِ.

لَا يُعَنِّفُ السَّائِلَ بِالتَّوْبِيخِ الْقَبِيحِ فَيُخْجِلَهُ، وَلَا يَزْجُرُهُ فَيَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ، وَلَكِنْ يَبْسُطُهُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِيَجْبُرَهُ فِيهَا، قَدْ عَلِمَ بُغْيَتَهُ عَمَّا يَعْنِيهِ، وَيَحُثُّهُ عَلَى طَلَبِ عِلْمِ الْوَاجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

يُقْبِلُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى عِلْمِ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ، وَيَتْرُكُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ الْجَدَلَ وَالْمِرَاءَ.

يُقَرِّبُ عَلَيْهِمْ مَا يَخَافُونَ بُعْدَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَسْكُتُ عَنِ الْجَاهِلِ حِلْمًا، وَيَنْشُرُ الْحِكْمَةَ نُصْحًا.

فَهَذِهِ أَخْلَاقُهُ لِأَهْلِ مَجْلِسِهِ وَمَا شَاكَلَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ.

[أَخْلَاقُهُ فِي الْفُتْيَا]

وَأَمَّا مَا يَسْتَعْمِلُ مَعَ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلْمِ وَالْفُتْيَا، فَإِنَّ مِنْ صِفَتِهِ إِذَا سَأَلَهُ سَائِلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَجَابَ، وَجَعَلَ أَصْلَهُ أَنَّ الْجَوَابَ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ.

فَإِذَا أُورِدَتْ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ قَدِ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ اجْتَهَدَ فِيهَا؛

- فَمَا كَانَ أَشْبَهَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ مِنْ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَقَوْلِ الْفُقَهَاءِ بَعْدَهُمْ قَالَ بِهِ، إِذَا كَانَ مُوَافِقًا لِقَوْلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَقَوْلِ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ بِهِ.

- وَإِنْ كَانَ رَآهُ مِمَّا يُخَالِفُ بِهِ قَوْلَ الصَّحَابَةِ وَقَوْلَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَخْرُجَ عَنْ قَوْلِهِمْ، لَمْ يَقُلْ بِهِ، وَاتَّهَمَ رَأْيَهُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ أَوْ مِثْلُهُ، حَتَّى يَنْكَشِفَ لَهُ الْحَقُّ، وَيَسْأَلَ مَوْلَاهُ أَنْ يُوَفِّقَهُ لِإِصَابَةِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ.

وَإِذَا سُئِلَ عَنْ عِلمٍ لَا يَعْلَمُهُ لَمْ يَسْتَحِ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ.

وَإِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَعَلِمَ أَنَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الشَّغَبِ، وَمِمَّا يُورِثُ الْفِتَنَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَعْفَى مِنْهَا، وَرَدَّ السَّائِلَ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ، عَلَى أَرْفَقِ مَا يَكُونُ.

وَإِنْ أَفْتَى بِمَسْأَلَةٍ فَعَلِمَ أَنَّهُ أَخْطَأَ لَمْ يَسْتَنْكِفْ أَنْ يَرْجِعَ عَنْهَا.

وَإِنْ قَالَ قَوْلًا فَرَدَّهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ - مِمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ أَوْ مِثْلُهُ أَوْ دُونَهُ - فَعَلِمَ أَنَّ الْقَوْلَ كَذَلِكَ، رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ، وَحَمِدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَجَزَاهُ خَيْرًا.

وَإِنْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ اشْتَبَهَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فِيهَا قَالَ: سَلُوا غَيْرِي، وَلَمْ يَتَكَلَّفْ مَا لَا يَتَقَرَّرُ عَلَيْهِ.

يَحْذَرُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَاتِ فِي الْبِدَعِ، لَا يُصْغِي إِلَى أَهْلِهَا بِسَمْعِهِ، وَلَا يَرْضَى بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَلَا يُمَارِيهِمْ.

أَصْلُهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، يَأْمُرُ بِالِاتِّبَاعِ، وَيَنْهَى عَنِ الِابْتِدَاعِ، لَا يُجَادِلُ الْعُلَمَاءَ، وَلَا يُمَارِي السُّفَهَاءَ.

هَمُّهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ الْفَهْمُ، وَفِي سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ الْفِقْهُ لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا لِلَّهِ عَلَيْهِ، وَلِيَعْلَمَ كَيْفَ يَتَقَرَّبُ إِلَى مَوْلَاهُ، مُذَكِّرٌ لِلْغَافِلِ، مُعَلِّمٌ لِلْجَاهِلِ،

يَضَعُ الْحِكْمَةَ عِنْدَ أَهْلِهَا، وَيَمْنَعُهَا مَنْ لَيْسَ بِأَهْلِهَا، مَثَلُهُ مَثَلُ الطَّبِيبِ، يَضَعُ الدَّوَاءَ بِحَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْفَعُ.

فَهَذِهِ صِفَتُهُ، وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الشَّرِيفَةَ، إِذَا كَانَ اللَّهُ ﷻ قَدْ نَشَرَ لَهُ الذِّكْرَ بِالْعِلْمِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا ازْدَادَ لِلَّهِ تَوَاضُعًا، يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، مَعَ شِدَّةِ حَذَرِهِ مِنْ وَاجِبِ مَا يَلْزَمُهُ مِنَ الْعِلْمِ.

ذِكْرُ صِفَةِ مُنَاظَرَةِ هَذَا الْعَالِمِ إِذَا احْتَاجَ إِلَى مُنَاظَرَةٍ

اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللَّهُ، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ- أَنَّ مِنْ صِفَةِ هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ الَّذِي فَقَّهَهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ، وَنَفَعَهُ بِالْعِلْمِ، أَنْ لَا يُجَادِلَ، وَلَا يُمَارِيَ،[1] وَلَا يُغَالِبَ بِالْعِلْمِ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَغْلِبَهُ بِالْعِلْمِ الشَّافِي، وَذَلِكَ يَحْتَاجُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاظَرَةِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ، لِيَدْفَعَ بِحَقِّهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَرَجَ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَتَكُونَ غَلَبَتُهُ لِأَهْلِ الزَّيْغِ تَعُودُ بَرَكَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، عَلَى الِاضْطِرَارِ إِلَى الْمُنَاظَرَةِ، لَا عَلَى الِاخْتِيَارِ لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُجَالِسَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا يُجَادِلَهُمْ، فَأَمَّا فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ فَلَا.

(1) انظر ما عقده المؤلف في كتابه «الشريعة» (1/160 فما بعدها) في: (ذم الجدال والخصومات في الدين) ؛ فإنه مهم.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى عِلْمِ مَسْأَلَةٍ قَدْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا، لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا، لَابُدَّ لَهُ أَنْ يُجَالِسَ الْعُلَمَاءَ وَيُنَاظِرَهُمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْقَوْلَ فِيهَا عَلَى صِحَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُنَاظِرْ لَمْ تَقْوَ مَعْرِفَتُهُ؟

قِيلَ لَهُ: بِهَذِهِ الْحِجَّةِ يَدْخُلُ الْعَدُوُّ عَلَى النَّفْسِ الْمُتَّبِعَةِ لِلْهَوَى، فَيَقُولُ: إِنْ لَمْ تُنَاظِرْ وَتُجَادِلْ لَمْ تَفْقَهْ، فَيَجْعَلُ هَذَا سَبَبًا لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ، الَّذِي حَذَّرَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَنَاهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

[21] عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ. (1)

[22] وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: مَا رَأَيْنَا فَقِيهًا يُمَارِي. (2)

[23] وَعَنِ الْحَسَنِ، أَيْضًا قَالَ: الْمُؤْمِنُ يُدَارِي، وَلَا يُمَارِي، يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللَّهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللَّهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللَّهَ. (3)

---

(1) رواه الدارمي (396) وابن سعد في الطبقات (187/7) وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (1407) وآدم بن إياس في العلم والحلم (13) وابن أبي الدنيا في الصمت (125) والمؤلف في الشريعة (434/1) وأبونعيم في «لحلية» (2 / 294). ورجاله ثقات.

(2) ورواه ابن بطة في «إبطال الحيل» (5/1) وزاد: إنما يفشي حكمته.

(3) رواه ابن المبارك في «الزهد» (30 رواية نعيم)، ويأتي طرف منه في الكتاب (37). ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (2 / 288 رقم 1795) وأبو نعيم في «الحلية» (7 / 280) عن سفيان ابن عيينة من قوله.

[24] وَرُوِيَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَحْبَبْتَ أَخًا فَلَا تُمَارِهْ، وَلَا تُشَارِهْ،(1) وَلَا تُمَازِحْهُ.(2)

وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ: أَنَّ الْمِرَاءَ أَكْثَرُهُ يُغَيِّرُ قُلُوبَ الْإِخْوَانِ، وَيُوَرِّثُ التَّفْرِقَةَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ، وَالْوَحْشَةَ بَعْدَ الْأُنْسِ.

[25] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**"(3)

فَالْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ الْعَاقِلُ يَخَافُ عَلَى دِينِهِ مِنَ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ.

---

(1) أي: لا تخجله. انظر «اللسان» (ش و ر).

(2) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (545)، وزاد: «ولا تسأل عنه فعسى أن توافي له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق بينك وبينه».

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (5 / 136) عن معاذ مرفوعا، وقال عقبه: «غريب من حديث جبير بن نفير عن معاذ متصلا، وأرسله غير ابن وهب عن معاوية».

قلت: يشير إلى أن الصحيح وقفه على معاذ، ولأجل ذلك خرج الألباني المرفوع في «الضعيفة» (120).

(3) أخرجه أحمد (5/252، 256) والترمذي (3253) وابن ماجه (48) والطبراني (8 /277 /رقم 8067) وابن أبي عاصم في «السنة» (101) والمؤلف في الشريعة (124).

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وإسناده حسن كما في «تخريج السنة» (1 /48) للألباني، وله طريقان آخران ذكرهما ابن كثير في «تفسيره» (4 /132).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا يَصْنَعُ فِي عِلْمٍ قَدْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ؟

قِيلَ لَهُ: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ عِلْمَ مَا أُشْكِلَ عَلَيْهِ، قَصَدَ إِلَى عَالِمٍ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ بِعِلْمِهِ اللَّهَ، مِمَّنْ يُرْتَضَى عِلْمُهُ وَفَهْمُهُ وَعَقْلُهُ، فَذَاكَرَهُ مُذَاكَرَةَ مَنْ يَطْلُبُ الْفَائِدَةَ وَأَعْلِمْهُ أَنَّ مُنَاظَرَتِي إِيَّاكَ مُنَاظَرَةَ مَنْ يَطْلُبُ الْحَقَّ، وَلَيْسَتْ مُنَاظَرَةَ مُغَالِبٍ، ثُمَّ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْإِنْصَافَ لَهُ فِي مُنَاظَرَتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يُحِبَّ صَوَابَ مُنَاظِرِهِ، وَيَكْرَهَ خَطَأَهُ، كَمَا يُحِبُّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُعْلِمُهُ أَيْضًا: إِنْ كَانَ مُرَادُكَ فِي مُنَاظَرَتِي أَنْ أُخْطِئَ الْحَقَّ، وَتَكُونَ أَنْتَ الْمُصِيبَ وَيَكُونُ أَنَا مُرَادِي أَنْ تُخْطِئَ الْحَقَّ وَأَكُونُ أَنَا الْمُصِيبُ، فَإِنَّ هَذَا حَرَامٌ عَلَيْنَا فِعْلُهُ، لِأَنَّ هَذَا خُلُقٌ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنَّا، وَوَاجِبٌ عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ مِنْ هَذَا.

فَإِنْ قَالَ: فَكَيْفَ نَتَنَاظَرُ؟ قِيلَ لَهُ: مُنَاصَحَةً.

فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ الْمُنَاصَحَةُ؟

أَقُولُ لَهُ: لَمَّا كَانَتْ مَسْأَلَةٌ فِيمَا بَيْنَنَا أَقُولُ أَنَا: إِنَّهَا حَلَالٌ، وَتَقُولُ أَنْتَ: إِنَّهَا حَرَامٌ، فَحُكْمُنَا جَمِيعًا أَنْ نَتَكَلَّمَ فِيهَا كَلَامَ مَنْ يَطْلُبُ السَّلَامَةَ، مُرَادِي أَنْ يَنْكَشِفَ لِي عَلَى لِسَانِكَ الْحَقُّ، فَأَصِيرَ إِلَى قَوْلِكَ، أَوْ يَنْكَشِفَ لَكَ عَلَى لِسَانِي الْحَقُّ، فَتَصِيرَ إِلَى قَوْلِي مِمَّا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْإِجْمَاعَ، فَإِنْ كَانَ

هَذَا مُرَادَنَا رَجَوْتُ أَنْ تُحْمَدَ عَوَاقِبُ هَذِهِ الْمُنَاظَرَةِ، وَنُوَفَّقَ لِلصَّوَابِ، وَلَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ نَصِيبٌ.

وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ إِذَا عَارَضَهُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ وَالْمُنَاظَرَةِ بَعْضُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُنَاظَرَتَهُ لِلْجَدَلِ، وَالْمِرَاءِ وَالْمُغَالَبَةِ، لَمْ يَسَعْهُ مُنَاظَرَتُهُ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ، وَيَنْصُرَ مَذْهَبَهُ، وَلَوْ أَتَاهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ مِثْلِهَا يَجِبُ أَنْ يَقْبَلَهَا، لَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ، وَنَصَرَ قَوْلَهُ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادَهُ لَمْ تُؤْمَنْ فِتْنَتُهُ، وَلَمْ تُحْمَدْ عَوَاقِبُهُ.

وَيُقَالُ لِمَنْ مُرَادُهُ فِي الْمُنَاظَرَةِ الْمُغَالَبَةُ وَالْجَدَلُ: أَخْبِرْنِي، إِذَا كُنْتُ أَنَا حِجَازِيًّا، وَأَنْتَ عِرَاقِيًّا، وَبَيْنَنَا مَسْأَلَةٌ عَلَى مَذْهَبِي، أَقُولُ: إِنَّهَا حَلَالٌ، وَعَلَى مَذْهَبِكَ إِنَّهَا حَرَامٌ، فَسَأَلْتَنِي الْمُنَاظَرَةَ لَكَ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ فِي مُنَاظَرَتِكَ الرُّجُوعُ عَنْ قَوْلِكَ، وَالْحَقُّ عِنْدَكَ أَنْ أَقُولَ فِيهَا قَوْلَكَ، وَكَانَ عِنْدِي أَنَا أَنْ أَقُولَ، وَلَيْسَ مُرَادِي فِي مُنَاظَرَتِي الرُّجُوعَ عَمَّا هُوَ عِنْدِي، وَإِنَّمَا مُرَادِي أَنْ أَرُدَّ قَوْلَكَ، وَمُرَادُكَ أَنْ تَرُدَّ قَوْلِي، فَلَا وَجْهَ لِمُنَاظَرَتِنَا، فَالْأَحْسَنُ بِنَا السُّكُوتُ عَلَى مَا تَعْرِفُ مِنْ قَوْلِكَ، وَعَلَى مَا أَعْرِفُ مِنْ قَوْلِي، وَهُوَ أَسْلَمُ لَنَا، وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَعْمِلَهُ.

فَإِنْ قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قِيلَ: لِأَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ أُخْطِئَ الْحَقَّ، وَأَنْتَ عَلَى الْبَاطِلِ، وَلَا أُوَفَّقَ لِلصَّوَابِ، ثُمَّ تُسَرَّ بِذَلِكَ، وَتَبْتَهِجَ بِهِ، وَيَكُونَ مُرَادِي فِيكَ كَذَلِكَ، فَإِذَا كُنَّا كَذَلِكَ، فَنَحْنُ قَوْمُ سُوءٍ، لَمْ نُوَفَّقْ لِلرَّشَادِ، وَكَانَ الْعِلْمُ عَلَيْنَا حُجَّةً، وَكَانَ الْجَاهِلُ أَعْذَرَ مِنَّا.

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّهُ رُبَّمَا احْتَجَّ أَحَدُهُمَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَصْمِهِ، فَيَرُدُّهَا عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَخْشَى أَنْ تَنْكَسِرَ حُجَّتُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَقُولَ بِسُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَابِتَةٍ، فَيَقُولَ: هَذَا بَاطِلٌ، وَهَذَا لَا أَقُولُ بِهِ، فَيَرُدَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِهِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَجُّ فِي مَسْأَلَةٍ بِقَوْلِ صَحَابِيٍّ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ خَصْمُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا يَحْتَجُّ عَلَيْهِ، كُلُّ ذَلِكَ نُصْرَةً مِنْهُ لِقَوْلِهِ، لَا يُبَالِي أَنْ يَرُدَّ السُّنَنَ وَالْآثَارَ.[1]

مِنْ صِفَةِ الْجَاهِلِ، الْجَدَلُ، وَالْمِرَاءُ، وَالْمُغَالَبَةُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ هَذَا مُرَادُهُ.

وَمِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ الْعَقْلُ وَالْمُنَاصَحَةُ فِي مُنَاظَرَتِهِ، وَطَلَبُ الْفَائِدَةِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، كَثَّرَ اللَّهُ فِي الْعُلَمَاءِ مِثْلَ هَذَا، وَنَفَعَهُ بِالْعِلْمِ، وَزَيَّنَهُ بِالْحِلْمِ.

(1) انظر تفصيل ذلك في الشريعة (1/176 فما بعدها) للمؤلف.

ذِكْرُ أَخْلَاقِ هَذَا الْعَالِمِ وَمُعَاشَرَتِهِ لِمَنْ عَاشَرَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ

مَنْ كَانَتْ صِفَاتُهُ فِي عِلْمِهِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ أَخْلَاقِهِ-وَاللَّهُ أَعْلَمُ-: أَنْ يَأْمَنَ شَرَّهُ مَنْ خَالَطَهُ، وَيَأْمَلَ خَيْرَهُ مَنْ صَاحَبَهُ، لَا يُؤَاخِذُ بِالْعَثَرَاتِ، وَلَا يُشِيعُ الذُّنُوبَ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَقْطَعُ بِالْبَلَاغَاتِ، وَلَا يُفْشِي سِرَّ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ عَنْهُ، ذَلِيلٌ لِلْحَقِّ، عَزِيزٌ عَنِ الْبَاطِلِ، كَاظِمٌ لِلْغَيْظِ عَمَّنْ آذَاهُ، شَدِيدُ الْبُغْضِ لِمَنْ عَصَى مَوْلَاهُ، يُجِيبُ السَّفِيهَ بِالصَّمْتِ عَنْهُ، وَالْعَالِمَ بِالْقَبُولِ مِنْهُ، لَا مُدَاهِنٌ، وَلَا مُشَاحِنٌ وَلَا مُخْتَالٌ، وَلَا حَسُودٌ، وَلَا حَقُودٌ، وَلَا سَفِيهٌ، وَلَا جَافٍ، وَلَا فَظٌّ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا طَعَّانٌ، وَلَا لَعَّانٌ، وَلَا مُغْتَابٌ، وَلَا سَبَّابٌ.

يُخَالِطُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ عَاوَنَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَنَهَاهُ عَمَّا يَكْرَهُ مَوْلَاهُ، وَيُخَالِقُ بِالْجَمِيلِ مَنْ لَا يَأْمَنُ شَرَّهُ، إِبْقَاءً عَلَى دِينِهِ، سَلِيمُ الْقَلْبِ لِلْعِبَادِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ، يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا أَمْكَنَ فِيهِ الْعُذْرُ، لَا يُحِبُّ زَوَالَ النِّعَمِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ، يُدَارِي جَهْلَ مَنْ عَامَلَهُ بِرِفْقِهِ، إِذَا تَعَجَّبَ مِنْ جَهْلِ غَيْرِهِ ذَكَرَ أَنَّ جَهْلَهُ أَكْثَرُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ، لَا يَتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةً، وَلَا يَخَافُ مِنْهُ غَائِلَةً، النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، وَنَفْسُهُ مِنْهُ فِي جَهْدٍ.

ذِكْرُ أَخْلَاقِ هَذَا الْعَالِمِ وَأَوْصَافِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ

جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، مِمَّا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ، كُلُّهَا تَجْرِي لَهُ بِتَوْفِيقٍ مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، وَمَنْ جَرَى لَهُ التَّوْفِيقُ بِمَا ذَكَرْنَا كَانَ اسْتِعْمَالُهُ لِلْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ، أَعْظَمَ شَأْنًا مِمَّا ذَكَرْتُ، مِمَّا قَدْ أَوْصَلَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ إِلَى قَلْبِهِ، يُمَتِّعُهُ بِهَا شَرَفًا لَهُ بِمَا خَصَّهُ مِنْ عِلْمِهِ، إِذْ جَعَلَهُ وَارِثَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُرَّةَ عَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ، وَطَبِيبًا لِقُلُوبِ أَهْلِ الْجَفَاءِ.

فَمِنْ صِفَتِهِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شَاكِرًا، وَلَهُ ذَاكِرًا، دَائِمَ الذِّكْرِ، بِحَلَاوَةِ حُبِّ الْمَذْكُورِ، فَنَعَّمَ قَلْبَهُ بِمُنَاجَاةِ الرَّحْمَنِ.

يَعُدُّ نَفْسَهُ مَعَ شِدَّةِ اجْتِهَادِهِ خَاطِئًا مُذْنِبًا، وَمَعَ الذُّؤُوبِ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ مُقَصِّرًا، لَجَأَ إِلَى اللَّهِ ﷻ فَقَوِيَ ظَهْرُهُ، وَوَثِقَ بِاللَّهِ فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَهُ، مُسْتَغْنٍ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أُنْسُهُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَحَشَتُهُ مِمَّنْ يَشْغَلُهُ عَنْ رَبِّهِ، إِنِ ازْدَادَ عِلْمًا خَافَ تَوْكِيدَ الْحُجَّةِ، مُشْفِقٌ عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ.

هَمُّهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ: الْفَهْمُ عَنْ مَوْلَاهُ، وَفِي سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الْفِقْهُ؛ لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا أُمِرَ بِهِ، مُتَأَدِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، لَا يُنَافِسُ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي

عِزِّهَا، وَلَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا بِالسَّكِينَةِ، وَالْوَقَارِ، وَمُشْتَغِلٌ قَلْبُهُ بِالْفَهْمِ وَالِاعْتِبَارِ.

إِنْ فَرَغَ قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَمُصِيبَةٌ عِنْدَهُ عَظِيمَةٌ، وَإِنْ أَطَاعَ اللَّهَ ﷻ بِغَيْرِ حُضُورِ فَهْمٍ فَخُسْرَانٌ عَنْهُ مُبِينٌ، يَذْكُرُ اللَّهَ مَعَ الذَّاكِرِينَ، وَيَعْتَبِرُ بِلِسَانِ الْغَافِلِينَ، عَالِمٌ بِدَاءِ نَفْسِهِ، وَمُتَّهِمٌ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ، اتَّسَعَ فِي الْعُلُومِ، فَتَرَاكَمَتْ عَلَى قَلْبِهِ الْفُهُومُ، فَاسْتَحَى مِنَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. وَشُغْلُهُ بِاللَّهِ فِي جَمِيعِ سَعْيِهِ مُتَّصِلٌ، وَعَنْ غَيْرِهِ مُنْفَصِلٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ لِهَذَا النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَّ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَوَصَفْتَهُمْ بِهِ أَصْلٌ فِي الْقُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ، أَوْ أَثَرٌ عَمَّنْ تَقَدَّمَ؟

قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، وَسَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩﴾ [الإسراء:108].

أَفَلَا تَرَى، رَحِمَكَ اللَّهُ، كَيْفَ وَصَفَ الْعُلَمَاءَ بِالْبُكَاءِ وَالْخَشْيَةِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّذَلُّلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ؟

[26] عَنْ مِسْعَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْأَعْلَى التَّيْمِيَّ يَقُولُ: مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ، فَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَكُونَ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ نَعَتَ الْعُلَمَاءَ وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ [الإسراء:108] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:108] (1)

[27] عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: صَاحِبُ الْعِلْمِ، وَصَاحِبُ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِيَانِ، أَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزْدَادُ رِضَا اللَّهِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا، فَيَزْدَادُ فِي الطُّغْيَانِ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]، ثُمَّ قَرَأَ لِلْآخَرِ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: 7] (2)

---

(1) رواه ابن المبارك في «الزهد» (125) - ومن طريقه أبو عبيد في فضائل القرآن (174) أبو نعيم في الحلية (88/5) وابن جرير في «التفسير» (15 /181 - 182) - وابن أبي شيبة (10/20) - ومن طريقه المؤلف - والدارمي (291).

(2) رواه ابن أبي شيبة (363/14) - وعنه عبد الله ابن أحمد في «زوائد الزهد» (ص264) وابن عبد البر في الجامع (583) - والدارمي (337) بسند ضعيف.

وروي عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا، رواه الدارمي (339) والبزار (4880) والطبراني (180/10/رقم10388) وأبو خيثمة في العلم (141).

وللمرفوع شاهد من حديث أنس، أخرجه الحاكم (91/1 - 92) بسند ضعيف.

وله طريق آخر عن أنس، أخرجه ابن عدي في الكامل (557/7)، فهو به قوي.

[28] عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:269]، قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَالْعِلْمُ بِهِ.(1)

[29] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ قَالَ: قَالَ مَسْرُوقٌ: بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَبِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ.(2)

[30] عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ يَقُولُ: الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ الْوَرَعُ.(3)

[31] عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَضَعَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ تَوَاضُعًا لِلَّهِ ﷻ.(4)

---

(1) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (2/533).

(2) رواه أحمد في «الزهد» (349) وأبو خيثمة في «العلم» (15، 46) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (686) من طريق المؤلف.

وقال الشيخ الألباني في تخريج «العلم»: إسناده صحيح.

(3) رواه البيهقي في «المدخل» (1 /322 رقم 505).

(4) **صحيح**. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (20/101) وأحمد في الزهد (47 الرياحين) - ومن طريقه ابن بطة في إبطال الحيل (ص34) والبيهقي في «المدخل» (1616) - والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (2/113) وفي «الجامع» (810) والمصنف في «أخلاق أهل القرآن» (61) - ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (1857) - والجوهري في مسند الموطأ (295).

والأثر علقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (952)، وقال محققه: صحيح.

[32] عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَزُهْدِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَطْلُبُ الْبَابَ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ، فَيَعْمَلُ بِهِ، فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَوْ كَانَتْ لَهُ فَجَعَلَهَا فِي الْآخِرَةِ. (1)

[33] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَيْمُونٍ الْخَيَّاطِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ نَهَارِي نَهَارَ سَفِيهٍ، وَلَيْلِي لَيْلَ جَاهِلٍ، فَمَا أَصْنَعُ بِالْعِلْمِ الَّذِي كَتَبْتُ؟(2)

[34] عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مَكْرَ اللَّهِ، وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ، وَلَا خَيْرَ فِي تَفَقُّهٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ. (3)

---

(1) رواه ابن المبارك في «الزهد» (79) وأحمد في «االزهد» (ص 261) وهناد في «الزهد» (1099) والخطيب في « الجامع» (175).

(2) رواه أبو نعيم في «الحلية» (271/7) عن المؤلف.

(3) رواه أبو داود في الزهد (111) وابن بشران في «الأمالي» (37، 857، 895) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (2 /161) بإسناد جيد، كما في التعليق على العلم لأبي خيثمة (ص149).
ورواه الدارمي (305، 306) وأبو خيثمة في «العلم» (144 ركائز) وابن الضريس في فضائل القرآن (69) وابن بطة في الإبانة الكبرى (618) من طريق آخر بإسناد ضعيف.
وروي مرفوعا، رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (1510) مرفوعا بسند تالف، وقال: وأكثرهم يوقفونه على علي.

[35] عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ فِيهَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ يَأْبَى عَلَيْكَ الْفُقَهَاءُ وَيُخَالِفُونَكَ، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مَطَرُ، وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهًا قَطُّ؟ وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفَقِيهُ؟ الْفَقِيهُ الْوَرِعُ الزَّاهِدُ الَّذِي لَا يَسْخَرُ مِمَّنْ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَهْمِزُ مَنْ فَوْقَهُ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللَّهُ حُطَامًا. (1)

[36] عَنْ عِمْرَانَ الْمِنْقَرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ يَوْمًا فِي شَيْءٍ قَالَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، لَيْسَ هَكَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ قَالَ: فَقَالَ: وَيْحَكَ أَوَ رَأَيْتَ أَنْتَ فَقِيهًا قَطُّ؟ «إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ، الْبَصِيرُ فِي أَمْرِ دِينِهِ، الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (2)

[37] عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: بَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ مَجْلِسٍ، كَانَ فِي نَاحِيَةِ بَنِي سَهْمٍ، يَجْلِسُ فِيهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَخْتَصِمُونَ، فَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِمْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى وَقَفْنَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَخْبِرْهُمْ عَنْ كَلَامِ الْفَتَى الَّذِي كَلَّمَ بِهِ

(1) رواه ابن بطة في إبطال الحيل (14) والخطيب في الفقيه والمتفقه (2/162) بسند ضعيف.
وله طريق آخر، وهو التالي.

(2) رواه وابن المبارك في «الزهد » (30رواية نعيم) وابن أبي شيبة (19/535) - ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (2/147) - وأحمد في «الزهد» (267، 279) والدارمي (297).
ورواه ابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (16 عمار) من طريق آخر أتم منه، وفيه مجهولان.
وله طريقان آخران عند ابن أبي الدنيا في الزهد (123) والبيهقي في الشعب (748).
وإسناده حسن، كما في التعليق على «ذم من لا يعمل بعلمه» (ص67 - 68).

أَيُّوبَ فِي حَالِهِ، قَالَ أَيُّوبُ: فَقُلْتُ: قَالَ الْفَتَى: يَا أَيُّوبُ، أَمَا كَانَ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ، وَذِكْرِ الْمَوْتِ، مَا يُكِلُّ لِسَانَكَ، وَيَقْطَعُ قَلْبَكَ، وَيَكْسِرُ حُجَّتَكَ؟ يَا أَيُّوبُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا أَسْكَتَتْهُمْ خَشْيَةُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ، وَلَا بُكْمٍ، وَإِنَّهُمْ هُمُ النُّبَلَاءُ، الْفُصَحَاءُ، الطُّلَقَاءُ، الْأَلِبَّاءُ، الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ، انْقَطَعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ، فَرَقًا مِنَ اللَّهِ، وَهَيْبَةً لَهُ، وَإِذَا اسْتَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ اسْتَبَقُوا إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ، لَا يَسْتَكْثِرُونَ لِلَّهِ الْكَثِيرَ، وَلَا يَرْضَوْنَ لَهُ بِالْقَلِيلِ، يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ الظَّالِمِينَ الْخَاطِئِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَنْزَاهٌ أَبْرَارٌ، وَمَعَ الْمُضَيِّعِينَ الْمُفَرِّطِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَكْيَاسٌ أَقْوِيَاءُ، نَاحِلُونَ، ذَائِبُونَ، يَرَاهُمُ الْجَاهِلُ فَيَقُولُ: مَرْضَى، وَلَيْسُوا بِمَرْضَى، قَدْ خُولِطُوا، وَقَدْ خَالَطَ[1] الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.[2]

(1) في «الإيمان» للعدني بعد هذا: قال أبو الحكم: وكتب إلى رجل أن ابن عباس قال لهم على إثر هذا الكلام: «كفى بك ظالما أن لا تزال مخاصما، وكفى بك إثما أن تزال ماريا، وكفى بك كاذبا أن تزال محدثا بغير ذكر الله».

وهذا مروي عن أبي الدرداء، رواه الدارمي (301) وأحمد في الزهد (741) وأبوداود في الزهد (228) وآدم ابن إياس في العلم والحلم (16) وابن أبي الدنيا في الصمت (130).

(2) أخرجه العدني في «الإيمان» (5) ومن طريقه أبو الشيخ في «العظمة» (1 /346)، وفيه موسى ابن أبي درم، ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (7 / 282) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (8 / 142) ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا.

هَذِهِ الْأَخْبَارُ تَدُلُّ عَلَى مَا وَصَفْنَا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَلِمَ دَاخَلَ الْعُلَمَاءَ هَذَا الْإِشْفَاقُ الشَّدِيدُ، وَخَافُوا مِنْ عِلْمِهِمْ هَذَا الْخَوْفَ كُلَّهُ؟

قِيلَ لَهُ: عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُسَائِلُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ: مَا عَمِلُوا فِيهِ؟ فَجَعَلُوا مُسَاءَلَةَ اللَّهِ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، فَأَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ شِدَّةَ الْحَذَرِ، وَأَخَذُوا بِالثِّقَةِ فِي كُلِّ أَمْرِهِمْ.

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ يُسْأَلُونَ عَنْ عِلْمِهِمْ: مَا عَمِلُوا فِيهِ؟

قِيلَ: نَعَمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَاذْكُرْ مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا سَمِعَهُ الْعَالِمُ انْتَبَهَ مِنْ رَقْدَتِهِ، وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِلُزُومِ أَخْلَاقِ مَنْ ذَكَرْتَ، وَاللَّهُ مُوَفِّقُنَا. قِيلَ: نَعَمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

* * * * *

ذِكْرُ سُؤَالِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ عِلْمِهِمْ مَاذَا عَمِلُوا فِيهِ[1]

[38] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْكُوفَةِ، بَدَأَ بِالْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَنَا فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَإِنَّ رَبَّهُ سَيَخْلُو بِهِ كَمَا يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،

---

(1) صدَّر المؤلف الباب بحديث معاذ بن جبل مرفوعا: "**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**"

رواه الطبراني في «الكبير» (20/ 60 رقم 111) والبيهقي في «المدخل» (493) وفي «الشعب» (1785) والخطيب في «تاريخ بغداد» (441/11) وفي «الاقتضاء» (2) وابن عساكر في «ذم من لايعمل بعلمه» (2).

ورواه ابن أبي شيبة (387/19) والدارمي (539) وأبو خيثمة في «العلم» (90 ركائز) والبزار (2641) والخطيب في «الاقتضاء» (3) وابن عبد البر في «الجامع» (5/2) موقوفا على معاذ.

والصواب وقفه، كما في العلل (967) للدارقطني.

وأورده الؤلف مرفوعا من حديث أبرزة الأسلمي، ومن حيث ابن مسعود.

أما حديث أبي برزة، فأخرجه الترمذي (2584) والدارمي (537) وأبو يعلى (7434) والخطيب في «الاقتضاء» (1)، بإسناد ضعيف، فيه تدليس الأعمش.

وأما حديث ابن مسعود، أخرجه الترمذي (2583) والبزار (1435) والطبراني في «الصغير» (747).

وقال الترمذي عقبه: غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث حسين بن قيس، وحسين يضعف في الحديث.

ثُمَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي - ثَلَاثَ مِرَارٍ - مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟ كَيْفَ عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟[1]

[39] عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟[2]

[40] عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِالْعِلْمِ عَامِلًا. [3]

---

(1) **حسن لغيره**. رواه الطبراني (8899/182/9) وأبو نعيم في «الحلية» (131/1) بسند فيه مقال.
ورواه ابن المبارك في «الزهد» (38) ومن طريقه الطبراني (8900/204/9) وابن عبد البر في «الجامع» (1200زهيري) بسند حسن في الشواهد.
فالأثر حسن بمجموع الطريقين.

(2) **صحيح لغيره**. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (311/13) وابن المبارك (39) وأحمد في (58/2) وابن أبي عاصم (ص 136) ثلاثتهم في «الزهد» وأبو نعيم في «الحلية» (213/1) ابن عبد البر في «الجامع» (1201) بسند ضعيف منقطع.
ورواه البيهقي في الشعب (1852) من طريق أخرى بسند ضعيف.
وللأثر طرق أخرى عند الدارمي (82/1) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (53 -55) وابن عبد البر (1204) في «الجامع» يصح بها.

(3) رواه الدارمي (296) وابن حبان في روضة العقلاء (59 ابن الجوزي) والخطيب في اقتضاء العلم العمل (17) من طريقين آخرين عن أبي الدرداء أتم منه.
وزاد الدارمي: وَكَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لَا تَزَالَ مُخَاصِمًا، وَكَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لَا تَزَالَ مُمَارِيًا، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا أَنْ لَا تَزَالَ مُحَدِّثًا فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ.

[41] عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: كَانَ فَتًى يَخْتَلِفُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَسْأَلُهَا وَتُحَدِّثُهُ، فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ يَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، هَلْ عَمِلْتَ بِمَا سَمِعْتَ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أُمَّهْ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، فَفِيمَ تَسْتَكْثِرُ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ؟[1]

مَنْ تَدَبَّرَ هَذَا، أَشْفَقَ مِنْ عِلْمِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، فَإِذَا أَشْفَقَ، مَقَتَ نَفْسَهُ، وَبَانَ بِأَخْلَاقِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لَنَا وَلَكُمْ إِلَى الرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

* * * * *

(1) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (92).

وورد نحوه عن أبي الدردار، رواه ابن عبد البر في الجامع (1232).

كِتَابُ أَخْلَاقِ الْعَالِمِ الْجَاهِلِ الْمُفْتَتِنِ بِعِلْمِهِ

قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ صَحَابَتِهِ ﷺ، وَعَنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ بِصِفَةِ عُلَمَاءٍ فِي الظَّاهِرِ، لَمْ يَنْفَعْهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ، مِمَّنْ طَلَبَهُ لِلْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ، وَتَأَكَّلَ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ، وَجَالَسَ بِهِ الْمُلُوكَ، وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ، لِيَنَالَ بِهِ الدُّنْيَا، فَهُوَ يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَخْلَاقُهُ أَخْلَاقُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ، فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، لِسَانُهُ لِسَانُ الْعُلَمَاءِ، وَعَمَلُهُ عَمَلُ السُّفَهَاءِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَاذْكُرِ الْأَخْبَارَ فِي ذَلِكَ، لِنَحْذَرَ مَا حَذَّرْتَنَا.

قِيلَ: نَعَمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

[42] عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لِتَجْتَرُّوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَالنَّارُ النَّارُ**"[1]

---

(1) **صحيح لغيره**. أخرجه ابن ماجه (254) وابن حبان (77) والحاكم (86/1) والخطيب في الفقيه والمتفقه (808 ابن الجوزي) وفي الجامع (24) وابن عبد البر في الجامع (1127) بإسناد ضعيف.

وللحديث شواهد، أمثلها حديث ابن عمر عند ابن ماجه (253)، وحديث كعب بن مالك، وهو التالي.

والحديث صححه العراقي في «تخريج الإحياء» (52/1).

[43] عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ**"(1)

[44] عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: يُقَالُ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ. (2)

[45] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ مَكْحُولًا يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مَا يُوعَدُونَ حَتَّى يَكُونَ عَالِمُهُمْ فِيهِمْ أَنْتَنَ مِنْ جِيفَةِ حِمَارٍ.(3)

---

(1) **صحيح لغيره**. أخرجه الترمذي (2845) والطبراني (19/100/رقم199) ابن أبي الدنيا في «الغيبة» (رقم3).

وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تكلم فيه من قبل حفظه.

والحديث صحيح بما قبله.

(2) **صحيح**. رواه ابن المبارك في «الزهد» (75 زيادات نعيم بن حماد) ومن طريقه البيهقي في المدخل إلى السنن (544) والمؤلف في مسألة الجهر بالقرآن في الطواف (7).

ورواه أحمد في «الجامع في العلل» (4501) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (7/36).

والأثر صححه المعلق على (مسألة الجهر) على شرط البخاري.

ورواه ابن عبد البر في «الجامع» (1261) من قول ابن المبارك، وقال محققه: إسناده صحيح.

(3) رواه أبو نعيم في «الحلية» (5 /181) – عن المصنف – والشجري في الأمالي الخميسية (2848 ترتيب الأمالي).

[46] عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: وَيْلٌ لِلْمُتَفَقِّهِينَ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ، وَالْمُسْتَحِلِّينَ الْحُرُمَاتِ بِالشُّبُهَاتِ. (1)

[47] عَنْ بَكَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ﷻ فِيمَا يُعَاتِبُ بِهِ أَحْبَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: تَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَتَعْلَمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَتَبْتَاعُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، تَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ، وَتُخْفُونَ أَنْفُسَ الذِّئَابِ، وَتَتَّقُونَ الْقَذَى مِنْ شَرَابِكُمْ، وَتَبْتَلِعُونَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الْحَرَامِ، وَتُثْقِلُونَ الدِّينَ عَلَى النَّاسِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، تُطِيلُونَ الصَّلَاةَ، وَتُبَيِّضُونَ الثِّيَابَ، وَتَنْتَقِصُونَ مَالَ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ، فَبِعِزَّتِي حَلَفْتُ لَأَضْرِبَنَّكُمْ بِفِتْنَةٍ يَضِلُّ فِيهَا رَأْيُ ذِي الرَّأْيِ، وَحِكْمَةُ الْحَكِيمِ. (2)

---

(1) رواه الدارمي (187) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (119) وفي «الفقيه والمتفقه» (2 /89) والبيهقي في «الشعب» (1778) وفي «لمدخل» (506).

(2) رواه بن المبارك في الزهد (470) – ومن طريقه أبوداود (7) وأبو نعيم في الحلية (38/4) والمؤلف– وأحمد في الزهد (291) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (120).

وهو عند ابن أبي شيبة في المصنف (85/20) بلفظ آخر نحوه.

ورواه الدارمي (90/1) وابن عبد البر في «الجامع» (1141) عن كعب الأحبار.

وقال محقق الجامع: سنده حسن.

وروي مرفوعا من حديث أبي الدرداء، رواه ابن عبد البر (1139) بإسناد ضعيف جدا.

[48] عَنْ الْفُضَيْلِ قَالَ: إِنَّمَا هُمَا عَالِمَانِ، عَالِمُ دُنْيَا، وَعَالِمُ آخِرَةٍ، فَعَالِمُ الدُّنْيَا عِلْمُهُ مَنْشُورٌ، وَعَالِمُ الْآخِرَةِ عِلْمُهُ مَسْتُورٌ، فَاتَّبِعُوا عَالِمَ الْآخِرَةِ، وَاحْذَرُوا عَالِمَ الدُّنْيَا، لَا يَصُدَّنَّكُمْ بِشَرِّهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:34] الْأَحْبَارُ: الْعُلَمَاءُ، وَالرُّهْبَانُ: الْعُبَّادُ. (1)

ثُمَّ قَالَ: لَكَثِيرٌ مِنْ عُلَمَائِكُمْ زِيُّهُ أَشْبَهُ بِزِيِّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ مِنْهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، وَلَكِنْ رُفِعَ لَهُ عَلَمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ.

[49] قَالَ الْفُضَيْلُ: الْعُلَمَاءُ كَثِيرٌ، وَالْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْحِكْمَةُ، فَمَنْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا. (2)

قَوْلُ الْفُضَيْلِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: الْفُقَهَاءُ كَثِيرٌ، وَالْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ، يَعْنِي: قَلِيلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ صَانَ عِلْمَهُ عَنِ الدُّنْيَا، وَطَلَبَ بِهِ الْآخِرَةَ، وَالْكَثِيرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدِ افْتُتِنَ بِعِلْمِهِ، وَالْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا أَعَزَّ مَنْ طَلَبَ بِعِلْمِهِ الْآخِرَةَ.

[50] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، سَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (8 /92) مختصرا.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (8/92) أتم منه.

دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ هُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**"(1)

[51] عَنْ عِيسَى بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ لِعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ: كَانَ الْعُلَمَاءُ قَبْلَنَا اسْتَغْنَوْا بِعِلْمِهِمْ عَنْ دُنْيَا غَيْرِهِمْ، فَكَانُوا لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى دُنْيَاهُمْ، فَكَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَبْذُلُونَ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ، رَغْبَةً فِي عِلْمِهِمْ، فَأَصْبَحَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَّا الْيَوْمَ يَبْذُلُونَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا عِلْمَهُمْ، رَغْبَةً فِي دُنْيَاهُمْ، فَأَصْبَحَ أَهْلُ الدُّنْيَا قَدْ زَهِدُوا فِي عِلْمِهِمْ، لِمَا رَأَوْا مِنْ سُوءِ مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ، فَإِيَّاكَ وَأَبْوَابَ السَّلَاطِينِ، فَإِنَّ عِنْدَ أَبْوَابِهِمْ فِتَنًا كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ، لَا تُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ مِثْلَهُ.(2)

---

(1) **حسن لغيره**. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (19 /253) وفي المسند (345) - ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (2 /105) - وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (119 ابن رجب) وابن ماجه (257) والبزار (1638) وابن عبد البر في «الجامع» (1128) بسند ضعيف جدا.
وهو عند ابن ماجه (4106) وابن أبي عاصم في «الزهد» (274) محتصرا دون طرفه الموقوف.
وللمرفوع شاهد عن ابن عمر، أخرجه الحاكم (2/443 و4/329) والبيهقي في «الزهد الكبير» (16) بسند ضعيف. ورواه ابن أبي عاصم في «الزهد» (166) من طريق آخر بإسناد صحيح.

(2) رواه أبو نعيم في «الحلية» (4 /29 - 30) عن المصنف وزاد: « يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فكل عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك، إنما بطنك بحر من البحور، وواد من الأودية لا يسعه إلا التراب ».

فَإِذَا كَانَ يُخَافُ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، أَنْ تَفْتِنَهُمُ الدُّنْيَا، فَمَا ظَنُّكَ فِي زَمَنِنَا هَذَا؟ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ مَا أَعْظَمَ مَا قَدْ حَلَّ بِالْعُلَمَاءِ مِنَ الْفِتَنِ، وَهُمْ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ .

[52] عَنْ هِشَامٍ، صَاحِبِ الدَّسْتُوَائِيِّ قَالَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ بَلَغَنِي: أَنَّ مِنْ كَلَامِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ سَخِطَ رِزْقَهُ، وَاحْتَقَرَ مَنْزِلَتَهُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنِ اتَّهَمَ اللَّهَ فِيمَا قَضَاهُ، وَلَيْسَ يَرْضَى شَيْئًا أَصَابَهُ كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ مَسِيرُهُ إِلَى آخِرَتِهِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ؟، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ دُنْيَاهُ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْ آخِرَتِهِ، وَهُوَ فِي دُنْيَاهُ أَفْضَلُ رَغْبَةً وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَطْلُبَ الْكَلَامَ لِيُحَدِّثَ بِهِ، وَلَا يَطْلُبُهُ لِيَعْمَلَ بِهِ؟[1]

(1) رواه الدارمي (371) وعبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد» (ص 75) وأبوداود في الزهد (1) وابن أبي الدنيا في الزهد (489) والبيهقي في «الشعب» (1917) وأبو نعيم في «الحلية» (6 / 279)، وأوله: تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا، وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَلا تَعْمَلُونَ لِلآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لا تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلا بِالْعَمَلِ، وَيْحَكُمْ عُلَمَاءَ السُّوءِ، الأَجْرَ تَأْخُذُونَ، وَالْعَمَلَ تُضَيِّعُونَ، تُوشِكُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى ظُلْمَةِ الْقُبُورِ وَضِيقِهَا، وَاللَّهُ نَهَاكُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، كَمَا أَمَرَكُمْ بِالصَّوْمِ وَالصَّلاةِ....
وإسناده إلى هشام حسن، كما في التعليق على الزهد لأبي داود.

[53] عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ الْعَالِمَ الْمُتَوَاضِعَ، وَيُبْغِضُ الْجَبَّارَ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ وَرَّثَهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ. (1)

[54] عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ أَشْهَبَ، لَا يُبْصِرُ زَمَانَكُمْ إِلَّا الْبَصِيرُ، إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ نَفَخَاتِهِمْ(2)، قَدِ انْتَفَخَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَطَلَبُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَا يُوقِعُوكُمْ فِي شَبَكَاتِهِمْ، يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تَأْكُلُ بِعِلْمِكَ، يَا عَالِمُ أَنْتَ تَفْخَرُ بِعِلْمِكَ، يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تُكَاثِرُ بِعِلْمِكَ، يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تَسْتَطِيلُ بِعِلْمِكَ، لَوْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ طَلَبْتَهُ لِلَّهِ لَرُئِيَ ذَلِكَ فِيكَ، وَفِي عَمَلِكَ. (3)

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَصِفْ لَنَا أَخْلَاقَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ عِلْمُهُمْ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا رَأَيْنَا مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ اعْتَبَرْنَا مَا ظَهَرَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، فَإِذَا رَأَيْنَا أَخْلَاقًا لَا تَحْسُنُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ اجْتَنَبْنَاهُمْ، وَعَلِمْنَا أَنَّ مَا اسْتَبْطَنُوهُ(4) مِنْ

(1) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (900) عن المصنف.
وقال العزازي في «صحيح الفقيه والمتفقه» (576): إسناده صحيح.
(2) أي: فخرهم وكبرهم. وفي الزهد لأبي حاتم: نفَّاخيهم، وهم ذوي الفخر والكبر.
(3) رواه أبو حاتم الرازي في الزهد (58) وأبو نعيم في الحلية (363/2، 378) - مفرقا - وابن عساكر في التاريخ (435/56).
(4) أي: ما جعلوه في باطنهم.

دَنَاءَةِ الْأَخْلَاقِ أَقْبَحُ مِمَّا ظَهَرَ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ فِتْنَةٌ فَاجْتَنَبْنَاهُمْ، لِئَلَّا نُفْتَتَنَ كَمَا افْتُتِنُوا، وَاللَّهُ مُوَفِّقُنَا لِلرَّشَادِ.

قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، سَنَذْكُرُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعِلْمِ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، فَتَصَفَّحَ أَمْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ خُلُقٌ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْمَكْرُوهَةِ الْمَذْمُومَةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَأَسْرَعَ الرَّجْعَةَ عَنْهَا إِلَى أَخْلَاقٍ هِيَ أَوْلَى بِالْعِلْمِ، مِمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَتَجَافَى عَنِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تُبَاعِدُهُمْ عَنِ اللَّهِ.

فَمِنْ صِفَتِهِ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ: يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ مَا أَسْرَعَ إِلَيْهِ هَوَاهُ.

فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ؟

قُلْتُ: لَيْسَ مُرَادُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْهِ لِيَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيمَا يَعْبُدُهُ مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، إِنَّمَا مُرَادُهُ فِي طَلَبِهِ أَنْ يُكْثِرَ التَّعَرُّفَ[1] أَنَّهُ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَلِيَكُونَ عِنْدَهُ فَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ هَذَّبَ نَفْسَهُ، وَكُلُّ عِلْمٍ إِذَا سَمِعَهُ أَوْ حَفِظَهُ شَرُفَ بِهِ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ، سَارَعَ إِلَيْهِ، وَخَفَّ فِي طَلَبِهِ، وَكُلُّ عِلْمٍ وَجَبَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ أَنْ يَعْلَمَهُ فَيَعْمَلَ بِهِ، ثَقُلَ عَلَيْهِ طَلَبُهُ، فَتَرَكَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهُ، مَعَ شِدَّةِ فَقْرِهِ إِلَيْهِ.

(1) أي: غرضه في طلب العلم أن يكثر تعرف الناس أنه من طلابه.

يَثْقُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَفُوتَهُ سَمَاعٌ لِعِلْمٍ قَدْ أَرَادَهُ، حَتَّى يُلْزِمَ نَفْسَهُ بِالِاجْتِهَادِ فِي سَمَاعِهِ، فَإِذَا سَمِعَهُ هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ، فَلَمْ يُلْزِمْهَا مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، كَمَا أَلْزَمَهَا السَّمَاعَ، فَهَذِهِ غَفْلَةٌ عَظِيمَةٌ إِنْ فَاتَهُ سَمَاعُ شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، أَحْزَنَهُ ذَلِكَ، وَأَسِفَ عَلَى فَوْتِهِ، كُلُّ ذَلِكَ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ مِنْهُ، وَكَانَ الْأَوْلَى بِهِ أَنْ يَحْزَنَ عَلَى عِلْمٍ قَدْ سَمِعَهُ، فَوَجَبَتْ عَلَيْهِ بِهِ الْحُجَّةُ، فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، ذَلِكَ كَانَ أَوْلَى بِهِ أَنْ يَحْزَنَ عَلَيْهِ وَيَتَأَسَّفَ.

يَتَفَقَّهُ لِلرِّيَاءِ، وَيُحَاجُّ لِلْمِرَاءِ، مُنَاظَرَتُهُ فِي الْعِلْمِ تُكْسِبُهُ الْمَأْثَمَ، مُرَادُهُ فِي مُنَاظَرَتِهِ أَنْ يُعْرَفَ بِالْبَلَاغَةِ، وَمُرَادُهُ أَنْ يُخَطِّئَ مُنَاظِرَهُ، إِنْ أَصَابَ مُنَاظِرُهُ الْحَقَّ أَسَاءَهُ ذَلِكَ. فَهُوَ دَائِبٌ يَسُرُّهُ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ، وَيَكْرَهُ مَا يُحِبُّ الرَّحْمَنُ.

يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ لَا يُنْصِفُ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَهُوَ يَجُورُ فِي الْمُحَاجَّةِ، يَحْتَجُّ عَلَى خَطَئِهِ، وَهُوَ يَعْرِفُهُ، وَلَا يُقِرُّ بِهِ، خَوْفًا أَنْ يُذَمَّ عَلَى خَطَئِهِ.

يُرَخِّصُ فِي الْفَتْوَى لِمَنْ أَحَبَّ، وَيُشَدِّدُ عَلَى مَنْ لَا هَوَى لَهُ فِيهِ.

يَذُمُّ بَعْضَ الرَّأْيِ، فَإِنِ احْتَاجَ الْحُكْمَ وَالْفُتْيَا لِمَنْ أَحَبَّ دَلَّهُ عَلَيْهِ، وَعَمِلَ بِهِ.

مَنْ تَعَلَّمَ مِنْهُ عِلْمًا، فَهِمَّتُهُ فِيهِ مَنَافِعُ الدُّنْيَا، فَإِنْ عَادَ عَلَيْهِ خَفَّ عَلَيْهِ تَعْلِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا مَنْفَعَةَ لَهُ فِيهِ لِلدُّنْيَا - وَإِنَّمَا مَنْفَعَتُهُ الْآخِرَةُ - ثَقُلَ عَلَيْهِ.

يَرْجُو ثَوَابَ عِلْمِ مَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَلَا يَخَافُ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمُسَاءَلَةِ عَنْ تَخَلُّفِ الْعَمَلِ بِهِ.

يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى بُغْضِهِ مَنْ ظَنِّ بِهِ السُّوءَ مِنَ الْمَسْتُورِينَ، وَلَا يَخَافُ مَقْتَ اللَّهِ عَلَى مُدَاهَنَتِهِ لِلْمَهْتُوكِينَ.

يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، فَيَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا يَخَافُ عَظِيمَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ لِتَرْكِهِ اسْتِعْمَالَهَا.

إِنْ عَلِمَ ازْدَادَ مُبَاهَاةً وَتَصَنُّعًا، وَإِنِ احْتَاجَ إِلَى مَعْرِفَةِ عِلْمٍ تَرَكَهُ أَنَفًا.

إِنْ كَثُرَ الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِهِ فَذُكِرُوا بِالْعِلْمِ أَحَبَّ أَنْ يُذْكَرَ مَعَهُمْ.

إِنْ سُئِلَ الْعُلَمَاءُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُسْأَلْ هُوَ، أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ كَمَا سُئِلَ غَيْرُهُ، وَكَانَ أَوْلَى بِهِ أَنْ يَحْمَدَ رَبَّهُ إِذْ لَمْ يُسْأَلْ، وَإِذْ كَانَ غَيْرُهُ قَدْ كَفَاهُ.

إِنْ بَلَغَهُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ أَخْطَأَ، وَأَصَابَ هُوَ، فَرِحَ بِخَطَأِ غَيْرِهِ، وَكَانَ حُكْمُهُ أَنْ يَسُوءَهُ ذَلِكَ.

إِنْ مَاتَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ سَرَّهُ مَوْتُهُ، لِيَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَى عِلْمِهِ.

إِنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنِفَ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، حَتَّى يَتَكَلَّفَ مَالَا يَسَعُهُ فِي الْجَوَابِ.

إِنْ عَلِمَ أَنَّ غَيْرَهُ أَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُ كَرِهَ حَيَاتَهُ، وَلَمْ يُرْشِدِ النَّاسَ إِلَيْهِ.

إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ قَالَ قَوْلًا فَتُوبِعَ عَلَيْهِ، وَصَارَتْ لَهُ بِهِ رُتْبَةٌ عِنْدَ مَنْ جَهِلَهُ، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّهُ أَخْطَأَ أَنِفَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ خَطَئِهِ، فَيَثْبُتُ بِنَصْرِ الْخَطَأِ، لِئَلَّا تَسْقُطَ رُتْبَتُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ.

يَتَوَاضَعُ بِعِلْمِهِ لِلْمُلُوكِ، وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا، لِيَنَالَ حَظَّهُ مِنْهُمْ بِتَأْوِيلٍ يُقِيمُهُ، وَيَتَكَبَّرُ عَلَى مَنْ لَا دُنْيَا لَهُ مِنَ الْمَسْتُورِينَ وَالْفُقَرَاءِ، فَيَحْرِمُهُمْ عِلْمَهُ بِتَأْوِيلٍ يُقِيمُهُ.

يَعُدُّ نَفْسَهُ فِي الْعُلَمَاءِ، وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ السُّفَهَاءِ، قَدْ فَتَنَهُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالثَّنَاءِ وَالشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا.

يَتَجَمَّلُ بِالْعِلْمِ كَمَا تَتَجَمَّلُ بِالْحُلَّةِ الْحَسْنَاءُ لِلدُّنْيَا، وَلَا يُجَمِّلُ عِلْمَهُ بِالْعَمَلِ بِهِ.

مَنْ تَدَبَّرَ هَذِهِ الْخِصَالَ، فَعَرَفَ أَنَّ فِيهِ بَعْضَ مَا ذَكَرْنَا، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يُسْرِعَ الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ، وَسَأَذْكُرُ مِنَ الْآثَارِ بَعْضَ مَا ذَكَرْتُ، لِيَتَأَدَّبَ بِهِ الْعَالِمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَمَّا قَوْلُنَا: يَتَجَمَّلُ بِالْعِلْمِ، وَلَا يُجَمِّلُ عِلْمَهُ بِالْعَمَلِ بِهِ؛

[55] فَعَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَاعْقِلُوهُ[1]، وَانْتَفِعُوا بِهِ، وَلَا تَعَلَّمُوهُ لِتَتَجَمَّلُوا بِهِ، إِنَّهُ يُوشِكُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمُرُ أَنْ يُتَجَمَّلُ بِالْعِلْمِ، كَمَا يَتَجَمَّلُ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ. [2]

وَأَمَّا: مَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُفْتِيَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ غَيْرَهُ يَكْفِيهِ؛

[56] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: أَدْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِئَةً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَنِ الشَّيْءِ، أَحَبَّ أَنْ يَكْفِيَهُ صَاحِبُهُ. [3]

---

(1) في الأصل: اعتقلوه، والتصويب من مصادر التخريج. وفي بعض الروايات: واعملوا به تنتفعوا.

(2) رواه ابن المبارك في «الزهد» (1345، 1442) وأبو خيثمة في «العلم» (35) وآدم بن إياس في العلم والحلم (12) وأبو نعيم في «الحلية» (6 /102) والذهبي في «السير» (13 /241).

وذكره ابن عبد البر في «الجامع» (1226) من قول أبي بن كعب.

(3) **صحيح**. رواه ابن المبارك في «الزهد» (58) والدارمي (135) وأبو خيثمة في «العلم» (21) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (2 /817) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (640، 641) والبغوي في «شرح السنة» (1/306) وابن عبد البر في «الجامع» (2199، 2201).

ورواه ابن سعد في «الطبقات» (6 /110) والمصنف هنا (79) من طريق آخري.

[57] عَنِ الْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ سُفْيَانَ[1] قَالَ: أَدْرَكْتُ الْفُقَهَاءَ وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يُجِيبُوا فِي الْمَسَائِلِ وَالْفُتْيَا، وَلَا يُفْتُونَ حَتَّى لَا يَجِدُوا بُدًّا مِنْ أَنْ يُفْتُوا. [2]

وَقَالَ الْمُعَافَى: سَأَلْتُ سُفْيَانَ فَقَالَ: أَدْرَكْتُ النَّاسَ مِمَّنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، وَهُمْ يَتَرَادُّونَ الْمَسَائِلَ، يَكْرَهُونَ أَنْ يُجِيبُوا فِيهَا، فَإِذَا أُعْفُوا مِنْهَا، كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ.

[58] قَالَ سُفْيَانُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسْأَلَ. [3]

[59] عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ: وَاللَّهِ يَا أَبَا حَمْزَةَ، لَقَدْ تَكَلَّمْتُ، وَلَوْ أَجِدُ بُدًّا مَا تَكَلَّمْتُ، وَإِنَّ زَمَانًا أَكُونُ فِيهِ فَقِيهَ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَزَمَانُ سُوءٍ. [4]

---

(1) هو ابن سعيد الثوري.

(2) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (649) من طريق المؤلف، وقال محققه: إسناده صحيح.

(3) ذكره ابن عبد البر في «الجامع» (2060) معلقا من رواية بشر بن الحارث عن ابن عيينة. ورواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (1086) من طريق المصنف، لكن جعله من قول بشر. وقال محققه: إسناده صحيح.

(4) رواه الدارمي (203) وابن أبي الدنيا في الإشراف على منازل الأشراف (351) وأبو نعيم في «الحلية» (4/223).

وأبو حمزة اسمه: ميمون، صاحب إبراهيم النخعي، وهو ضعيف الحديث.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَمْرِ سَأَلَ: هَلْ كَانَ؟ فَإِنْ قِيلَ: كَانَ، أَفْتَى فِيهِ، وَإِنْ قِيلَ: لَمْ يَكُنْ، لَمْ يُفْتِ فِيهِ، كُلُّ ذَلِكَ إِشْفَاقًا مِنَ الْفُتْيَا؛

[60] عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: هَلْ وَقَعَ؟ فَإِنْ قَالُوا لَهُ: لَمْ يَقَعْ، لَمْ يُخْبِرْهُمْ، وَإِنْ قَالُوا: قَدْ وَقَعَ، أَخْبَرَهُمْ.(1)

[61] عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ فَيَسْأَلُهُ عَنِ الْأَمْرِ، فَيَقُولُ: آللَّهِ، أَنَزَلَ هَذَا؟ فَإِنْ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ، أَفْتَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْلِفْ، تَرَكَهُ. (2)

[62] عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا عَمَّاهُ، كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَكَانَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاعْفِنَا حَتَّى يَكُونَ. (3)

---

(1) **صحيح**. رواه وابن بطة في «الإبانة» (342) - والزيادة منه - والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (623) وابن عبد البر في «الجامع» (2058) بنحوه.

وقال محقق الجامع: صحيح.

(2) **صحيح**. رواه أبو خيثمة في «العلم» (76) والخطيب في «الفقيه» (625) وابن عبد البر (2068). وقال محقق الجامع: صحيح.

(3) رواه الدارمي (2057) وأبو خيثمة «العلم» (77) والخطيب في الفقيه والمتفقه (626) وابن عبد البر في «الجامع» (1604) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (7 /344) بنحوه.

وقال الألباني في «الضعيفة» (2 /286) - بعد عزوه لابن عبد البر -: إسناده صحيح.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا فِي الْأُغْلُوطَاتِ، وَتَعْقِيدِ الْمَسَائِلِ مِمَّا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُنَزِّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْبَحْثِ عَنْهُمَا مِمَّا لَمْ يَكُنْ، وَلَعَلَّهَا لَا تَكُونُ أَبَدًا، فَيُشْغِلُونَ نُفُوسَهُمْ بِالنَّظَرِ، وَالْجَدَلِ، وَالْمِرَاءِ فِيهِمَا، حَتَّى يَشْتَغِلُوا بِهَا عَمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِمْ، وَيُغَالِطُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَطْلُبُ بَعْضُهُمْ زَلَلَ بَعْضٍ، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، هَذَا كُلُّهُ مَكْرُوهٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، لَا يَعُودُ عَلَى مَنْ أَرَادَ هَذَا مَنْفَعَةٌ فِي دِينِهِ، وَلَيْسَ هَذَا طَرِيقُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، مَا كَانَ يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ غَلَطَ بَعْضٍ، وَلَا مُرَادُهُمْ أَنْ يُخَطِّئَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بَلْ كَانُوا عُلَمَاءَ عُقَلَاءَ، يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعِلْمِ مُنَاصَحَةً، وَقَدْ نَفَعَهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ.

[63] عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، رَجُلٌ سَأَلَ عَلَى أَمَرٍ لَمْ يَحْرُمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**"(1)

[64] عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ.** (2)

(1) أخرجه أحمد (179/1) والبخاري (7289) ومسلم (2358/132).

(2) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (16) وزاد: إضاعة المال.

ورواه وأحمد (4 /250 ـ 251،254 ـ 255) والبخاري في «صحيحه» (6473) وفي «الأدب المفرد» (297، 460) والدارمي (2751) بلفظ أتم.

وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مالك (1796) ومسلم (1715).

[65] عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنَّ شِرَارَ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ يُحِبُّونَ شِرَارَ الْمَسَائِلِ، يُعَمُّونَ[1] بِهَا عِبَادَ اللَّهِ. [2]

[66] عَنْ رَفِيعٍ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمًا: سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ: مَا السَّوَادُ فِي الْقَمَرِ؟ قَالَ: قَاتَلَكَ اللَّهُ، أَلَا سَأَلْتَ عَمَّا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ؟ ذَاكَ مَحْوُ آيَةِ اللَّيْلِ.[3]

[67] عَنِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ -رحمه الله- يَقُولُ لِرَجُلٍ أَلَحَّ عَلَيْهِ فِي تَعْقِيدِ الْمَسَائِلِ: فَقَالَ أَحْمَدُ: تَسْأَلُ عَنْ عَبْدَيْنِ رَجُلَيْنِ؟ سَلْ عَنِ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ شَيْئًا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَنَحْوِ هَذَا، مَا تَقُولُ فِي صَائِمٍ احْتَلَمَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تَتْرُكُ

---

(1) في الجامع: يعَنّتُ.

(2) رواه ابن بطة في الإبانة (324، 325) والخطيب في الفقيه والمتفقه (638) والبيهقي في المدخل إلى السنن (1/272) من طريقين عن الحسن، وعلقه ابن عبد البر في الجامع (2084).
وقال المعلق على الفقيه والمتفقه: إسناده حسن.

(3) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (359) وابن جرير في التفسير (14/516).
ورواية ابن بطة: ألا سألت عما ينفعك في دينك وآخرتك، ذاك محو الليل.
وفي أخرى له: ثكلتك أمك، سل تفقها، ولا تسل تعنتا...
ورواه الحاكم (2/466-467) وابن جرير (14/515) وابن عبد البر في الجامع (726) من طريق آخر في سياق طويل.
وفي رواية ابن جرير: فقال عليٌّ: (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة)، هو المحو.

مَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَتَسْأَلُ عَنْ عَبْدَيْنِ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا، عَنِ الْحَسَنِ، فِي صَائِمٍ احْتَلَمَ: لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وعَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، فِي صَائِمٍ احْتَلَمَ، قَالَ: لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُعَجِّلُ بِالْغُسْلِ.

فَلَوْ أَدَّبَ الْعُلَمَاءُ أَنْفُسَهُمْ، وَغَيْرَهُمْ، بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا مَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ انْتَفَعُوا بِهَا، وَانْتَفَعَ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي قَلِيلِ عِلْمِهِمْ، وَصَارُوا أَئِمَّةً يُهْتَدَى بِهِمْ.

وَأَمَّا الْحُجَّةُ لِلْعَالِمِ يَسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ لَا يَعْلَمُهُ، فَلَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، إِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ، وَهَذَا طَرِيقُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ نَبِيَّهُمْ ﷺ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنِ الشَّيْءِ بِمَا لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ فِيهِ عِلْمُ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَتَقَدَّمْ فِيهِ الْعِلْمُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، وَلَا عِلْمَ لِي بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّفْ مَا لَا يَعْلَمُهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ.

[68] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "**لَا أَدْرِي**"، **أَوْ سَكَتَ**، قَالَ: فَأَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ: "**لَا أَدْرِي**"، **أَوْ سَكَتَ**، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: "**لَا أَدْرِي**"، فَقَالَ: سَلْ رَبَّكَ قَالَ: مَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، وَانْتَفَضَ انْتِفَاضَةً

كَادَ يُصْعَقُ مِنْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا صَعِدَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "**سَأَلَكَ مُحَمَّدٌ عَنْ أَيِّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قُلْتَ: لَا أَدْرِي، وَسَأَلَكَ عَنْ أَيِّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قُلْتَ: لَا أَدْرِي قَالَ: فَخَبِّرْهُ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَشَرَّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ**"(1)

[69] عَنْ زَادَانَ أَبِي مَيْسَرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَمْسَحُ بَطْنَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا بَرْدَهَا عَلَى الْكَبِدِ، سُئِلَتُ عَمَّا لَا أَعْلَمُ فَقُلْتُ: لَا أَعْلَمُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (2)

[70] عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: لَا أَعْلَمُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ عِلْمِ

(1) **صحيح لغيره**. أخرجه ابن حبان (1599) والحاكم (1 /90 و2/7) والبيهقي (3 /64 و7/49) وابن عبد البر في «الجامع» (1550) بسند ضعيف.

وللحديث شاهدان يتقوى بهما:

الأول: عن أبي هريرة، رواه مسلم (288 /671).

والثاني: عن جبير بن مطعم، رواه أحمد (27/308) وأبو يعلى (7403) والحاكم (1 /167 و2 /9) بسند ضعيف.

(2) **حسن**. رواه الدارمي (182، 183) الخطيب في الفقيه والمتفقه (1103، 1104) والبيهقي في المدخل (794) من طرق عن علي.

وذكره ابن عبد البر (1569) معلقا من رواية الشعبي عن علي.

الْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86]. (1)

[71] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَمرٍ لَا يَعْلَمُهُ، فَقَالَ: لَا أَعْلَمُهُ. (2)

[72] عَنْ عَطِيَّةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنْ فَرِيضَةٍ، هَيِّنَةٍ مِنَ الصُّلْبِ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: أَلَا أَخْبَرْتَ الرَّجُلَ؟ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي. (3)

[73] عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سُئِلَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ شَيْءٍ،، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَوَابٌ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَأُعْظِمُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُكَ ابْنُ إِمَامِ هُدًى يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ؟ فَقَالَ: أَعْظَمُ -

(1) أخرجه البخاري (548، 572، 4774، 4809، 4822) ومسلم (2798) وله عندهما تتمة.

(2) **حسن**. رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ » (1 /490) والخطيب في «الفقيه» (1108) بإسناد حسن.

ورواه الخطيب (2 / 172) وابن عبد البر (1563) من طريق آخر نحوه بإسناده ضعيف.

(3) عطية هو العوفي: ضعيف.

ورواه الدارمي (186) وابن عبد البر في «الجامع» (1566) من طريقين آخرين.

وقال محقق الجامع: إسناده صحيح.

وَاللَّهِ- مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ مَنْ عَقِلَ عَنِ اللَّهِ ﷻ، أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ أُحَدِّثَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ. (1)

[74] قَالَ مَالِكٌ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ يَقُولُ: إِذَا أَخْطَأَ الْعَالِمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي، فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ. (2)

[75] قَالَ مَالِكٌ: سَمِعْتُ ابْنَ عَجْلَانَ قَالَ: إِذَا أَغْفَلَ الْعَالِمُ: لَا أَدْرِي، أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ. (3)

---

(1) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (1 / 91 – 92) والدارمي (1 /46).

والابن المذكور هو القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر.

وفي رواية مسلم: «إمامي هدى – يعني عمر وابن عمر-» ، وفي أخرى له: «أبي بكر وعمر».

ولا مخالفة بينهما، كما قال النووي ؛ لأن أبا بكر هو الجد الأعلى للقاسم من جهة أمه.

(2) رواه ابن عبد البر (1580، 1581) بسند ضعيف.

وهو عند البيهقي في «المدخل» (813) من رواية مالك عن ابن عجلان عن ابن عباس.

وله طريق آخر عن ابن عباس، رواه البلاذري في أنساب الأشراف (68/4).

ورواه عبد الرزاق في «الأمالي في آثار الصحابة» (162)، لكن جعله من قول ابن مسعود.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (7 /274) عن سفيان بن عيينة من قوله.

(3) **صحيح**. رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (1113) والبيهقي في «المدخل» (666) وابن عبد البر في «الجامع» (1582، 1583) وابن بشران في «الأمالي» (1537)

وقال محقق «الجامع»: صحيح.

[76] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: لَا أَدْرِي قَالَ الرَّجُلُ: فَأَذْكُرُ عَنْكَ أَنَّكَ لَا تَدْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، احْكِ عَنِّي أَنِّي لَا أَدْرِي. (1)

مَنْ تَخَلَّقَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ، كَانَتْ أَوْصَافُهُ تِلْكَ الْأَوْصَافَ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا.

* * * * *

(1) صحيح. رواه ابن عبد البر (1573) أتم منه.

وقال محقق «الجامع»: إسناده صحيح.

ورواه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل (ص18) والخطيب في «الفقيه» (1122) نحوه.

وَصْفُ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ

وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ وَأَخْلَاقُهُ الْأَخْلَاقَ الْمَذْمُومَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى هَذَا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَتَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَتَجَبَّرَ، وَلَمْ يُؤَثِّرِ الْعِلْمُ فِي قَلْبِهِ أَثَرًا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، وَكَانَتْ أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقَ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغَفْلَةِ.

وَسَأَذْكُرُ مِنْ أَخْلَاقِهِ الْجَافِيَةِ، مَا إِذَا تَصَفَّحَ نَفْسَهُ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ، وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ، الَّتِي لَا تَحْسُنُ بِالْعُلَمَاءِ، عَلِمَ أَنَّهَا فِيهِ، وَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، لَا يُمْكِنُهُ دَفْعُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْعَظِيمُ مُطَّلِعٌ عَلَى سِرِّهِ.

فَمِنْ صِفَتِهِ: أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ هَمِّهِ مَعَاشَهُ، مِنْ حَيْثُ نُهِيَ عَنْهُ، مَخَافَةَ الْفَقْرِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، لَا يَقْنَعُ بِمَا أُعْطِيَ، مُسْتَبْطِئًا لِمَا لَمْ يَجْرِ بِهِ الْمَقْدُورُ أَنْ يَكُونَ، شُغْلُ الدُّنْيَا دَائِمٌ فِي قَلْبِهِ، وَذِكْرُ الْآخِرَةِ خَطَرَاتٌ، يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِالتَّعَبِ، وَالْحِرْصِ، وَالنَّصَبِ، وَيَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِالتَّسْوِيفِ، وَالْمُنَى.

يَذْكُرُ الرَّجَاءَ عِنْدَ الذُّنُوبِ، فَيَطْلُبُ نَفْسَهُ بِالْمُقَامِ عَلَيْهَا، وَيَذْكُرُ الْعَجْزَ عِنْدَ الطَّاعَةِ حِينَ هَمَّ بِهَا، فَيَنْزَجِرُ عَنْهَا، وَيَظُنُّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ، وَأَنَّهُ وَاثِقٌ بِهِ فِي الْعَفْوِ، وَلَمْ يُضْمَنْ لَهُ، وَلَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، وَيَثِقُ بِهِ فِي الرِّزْقِ الَّذِي ضُمِنَ لَهُ، يَضْطَرِبُ قَلْبُهُ، وَيُشْغَلُ بِطَلَبِ رِزْقِهِ، وَقَدْ أُمِرَ بِالطُّمَأْنِينَةِ فِيهِ

إِلَى رَبِّهِ، وَيَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَدْ نُدِبَ إِلَى أَنْ يَخَافَهُ، وَلَا يَسْكُنُ عِنْدَ الْحَذَرِ وَالْخَوْفِ مِنْ أَجْلِ رِزْقِهِ، وَقَدْ ضُمِنَ لَهُ، وَأَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَفُوتَهُ مَا قُدِّرَ لَهُ، فَمَا أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْهُ يَخَافُهُ، وَمَا خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْهُ أَمِنَهُ.

يَفْرَحُ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْسَى بِفَرَحِهِ شُكْرَ رَبِّهِ، وَيَغْتَمُّ بِالْمَصَائِبِ حَتَّى تَشْغَلَهُ عَنِ الرِّضَى عَنْ رَبِّهِ، إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ سَبَقَ إِلَى قَلْبِهِ الْفَزَعُ إِلَى الْعِبَادِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِمْ، يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ الْفَرَجَ إِذَا يَئِسَ مِنَ الْفَرَجِ مِنْ قِبَلِ الْخَلْقِ، فَإِنْ طَمِعَ فِي دُنُوٍّ إِلَى مَخْلُوقٍ نَسِيَ مَوْلَاهُ.

مَنِ اصْطَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ حُبُّ الْمُصْطَنِعِ إِلَيْهِ، وَشُغِلَ قَلْبُهُ بِذِكْرِهِ، وَأَلْزَمَ قَلْبَهُ حُبَّهُ وَشُكْرَهُ، نَاسٍ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَبَّهُ.

يَثْقُلُ عَلَيْهِ بَذْلُ الْقَلِيلِ مِنْ مَالِهِ لِمَنْ لَا يُكَافِئُ عَلَيْهِ إِلَّا رَبُّهُ، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ بَذْلُ الْكَثِيرِ لِمَنْ يُكَافِئُهُ، أَوْ يُؤَمِّلُ مِنْهُ مَنْفَعَتَهُ فِي دُنْيَاهُ، يَأْثَمُ فِيمَنْ أَحَبَّ فَيَمْدَحُهُ بِالْبَاطِلِ، وَيَعْصِي اللَّهَ فِيمَنْ يُبْغِضُهُ فَيَذُمُّهُ بِالْبَاطِلِ، يَقْطَعُ بِالظُّنُونِ، وَيُحَقِّقُ بِالتُّهَمِ.

يَكْرَهُ ظُلْمَ مَنْ يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، أَوْ يَنْصُرُهُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرُهُ، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ ظُلْمُ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ سِوَى رَبِّهِ.

يَثْقُلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ فُضُولَ الْقَوْلِ.

إِنْ كَانَ فِي رَخَاءٍ فَرِحَ، وَلَهَى، وَأَسَى[1]، وَطَغَى، وَبَغَى، وَإِنْ زَالَ عَنْهُ الرَّخَاءُ، شُلَّ قَلْبُهُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَفْرَحُ، وَلَا يَمْرَحُ أَبَدًا.

إِنْ مَرِضَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَأَظْهَرَ النَّدَامَةَ، وَعَاهَدَ أَنْ لَا يَعُودَ، وَإِنْ وَجَدَ الرَّاحَةَ نَقَضَ الْعَهْدَ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ.

وَإِنْ خَافَ الْخَلْقَ، وَرَجَا دُنْيَاهُمْ، أَرْضَاهُمْ بِمَا يَكْرَهُ مَوْلَاهُ، وَإِنْ خَافَ اللَّهَ كَمَا يَزْعُمُ، لَمْ يُرْضِهِ بِمَا يَكْرَهُ الْخَلْقُ.

يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ من هو فوقه من العباد ولا يعيذ من هو دونه من الخلق من شر نَفْسِهِ، شِفَاؤُهُ فِي إِمْضَاءِ غَيْظِهِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُسْخِطُ رَبَّهُ.

يَنْظُرُ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، فَيَسْتَقِلُّ[2] نِعَمَ رَبِّهِ، فَلَا يَشْكُرُهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعَيْشِ فَيَشْكُرُ النِّعْمَةَ.

يَتَشَاغَلُ بِالْفُضُولِ عَنِ الصَّلَوَاتِ إِلَى آخِرِ أَوْقَاتِهَا، فَإِنْ صَلَّى صَلَّى لَاهِيًا عَنْ صَلَاتِهِ، غَيْرَ مُعَظِّمٍ لِمَوْلَاهُ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، إِذَا أَطَالَ إِمَامُهُ الصَّلَاةَ مَلَّهَا وَذَمَّهُ، وَإِنْ خَفَّفَهَا اغْتَنَمَ خِفَّتَهُ وَحَمِدَهُ.

قَلِيلُ الدُّعَاءِ مَا لَمْ تَنْزِلْ بِهِ الشَّدَائِدُ وَالْعِلَلُ، فَإِنْ دَعَا فَبِقَلْبٍ مَشْغُولٍ بِالدُّنْيَا.

(1) أي: حزن. «مختار الصحاح» (ص 19).

(2) أي: يعدها قليلة.

هَذِهِ الْأَخْلَاقُ، وَمَا يُشْبِهُهَا، تَغْلِبُ عَلَى قَلْبِ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ، فَبَيْنَا هُوَ مُقَارِنٌ لِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ، إِذْ رَغِبَتْ نَفْسُهُ فِي حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَأَحَبَّ مُجَالَسَةَ الْمُلُوكِ، وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَأَحَبَّ أَنْ يُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ رَاخِي عَيْشِهِمْ، مِنْ مَنْزِلٍ بَهِيٍّ، وَمَرْكَبٍ هَنِيٍّ، وَخَادِمٍ سَرِيٍّ، وَلِبَاسٍ لَيِّنٍ، وَفِرَاشٍ نَاعِمٍ، وَطَعَامٍ شَهِيٍّ، وَأَحَبَّ أَنْ يُغْشَى بَابُهُ، وَيُسْمَعَ قَوْلُهُ، وَيُطَاعَ أَمْرُهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ فَطَلَبَهُ، وَلَمْ يُمَكَّنْهُ إِلَّا بِبَذْلِ دِينِهِ فَتَذَلَّلَ لِلْمُلُوكِ وَلِأَتْبَاعِهِمْ، وَخَدَمَهُمْ بِنَفْسِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِمَالِهِ، وَسَكَتَ عَنْ قَبِيحِ مَا يَظْهَرُ مِنْ مَنَاكِيرِهِمْ عَلَى أَبْوَابِهِمْ، وَفِي مَنَازِلِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ ثُمَّ زَيَّنَ لَهُمْ كَثِيرًا مِنْ قَبِيحِ فِعَالِهِمْ بِتَأْوِيلِهِ الْخَطَأَ، لِيَحْسُنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا فَعَلَ هَذَا مُدَّةً طَوِيلَةً، وَاسْتَحْكَمَ فِيهِ الْفَسَادُ، وَلُّوهُ الْقَضَاءَ، فَذَبَحُوهُ بِغَيْرِ سِكِّينٍ، فَصَارَتْ لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُمْ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ ذَلِكَ، لِئَلَّا يُغْضِبَهُمْ عَلَيْهِ، فَيَعْزِلُوهُ عَنِ الْقَضَاءِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَضَبِ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، فَاقْتَطَعَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى، وَالْأَرَامِلِ، وَالْفُقَرَاءِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَأَمْوَالَ الْوُقُوفِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ، وَأَهْلِ الشَّرَفِ، وَبِالْحَرَمَيْنِ، وَأَمْوَالًا يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْضَى بِهَا الْكَاتِبَ، وَالْحَاجِبَ، وَالْخَادِمَ، فَأَكَلَ الْحَرَامَ، وَأَطْعَمَ الْحَرَامَ، وَكَثُرَ الدَّاعِي عَلَيْهِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَوْرَثَهُ عِلْمُهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ.

هَذَا الْعَالِمُ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَرَ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْهُ؛

[77] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ، مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ**"(1)

[78] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**" قَالَ جَابِرٌ ﷺ: فَأَسْرَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَادْعُوا بِهِنَّ. (2)

---

(1) **صحيح**. أخرجه أحمد (188/14، 386 و516/15) وأبوداود (1548) والنسائي (5482، 5552) وابن ماجه (3837) والحاكم (104/1، 534). وللحديث شواهد، منها ما أخرجه مسلم (2722) عن زيد بن أرقم، وحديث عبدالله بن عمرو ابن العاص، أخرجه أحمد (117/11) بإسناد صحيح على شرط مسلم، كما في التعليق على المسند.

(2) **صحيح لغيره**. أخرجه ابن أبي شيبة (536/14 و95/16 و269/19) والنسائي في الكبرى (7818) والطبراني في الأوسط (9050) وأبو يعلى (1927، 1980، 2196) وابن حبان (82) والبيهقي في الشعب (276/3). ولفظ ابن أبي شيبة وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي: "**سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع**"

وله شاهد من حديث عائشة، أخرجه الطبراني (7139) بإسناد ضعيف. والحديث حسنه العراقي: «تخريج الإحياء» (31/1) والهيثمي: «المجمع» (182/10) والألباني: «الصحيحة» (1511).

وبه تم تهذيب الكتاب

وكان الفراغ منه ليلة عرفة لعام 1445 هـ

والحمد لله أولا وآخِرا وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وسلَّم تسليما.

الفهرس

[مُقَدّمةُ المصَنّف] 1
بَابُ ذِكْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ وَالْآثَارُ مِنْ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ 6
بَابُ أَوْصَافِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ نَفَعَهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ 15
ذِكْرُ صِفَتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ 16
ذِكْرُ صِفَتِهِ فِي مَشْيِهِ إِلَى الْعُلَمَاءِ 16
صِفَةُ مُجَالَسَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ 18
صِفَتُهُ إِذَا عُرِفَ بِالْعِلْمِ 19
[أَخْلَاقُهُ مَعَ مُجَالِسِيهِ] 20
[أَخْلَاقُهُ فِي الْفُتْيَا] 21
ذِكْرُ صِفَةِ مُنَاظَرَةِ هَذَا الْعَالِمِ إِذَا احْتَاجَ إِلَى مُنَاظَرَةٍ 23
ذِكْرُ أَخْلَاقِ هَذَا الْعَالِمِ وَمُعَاشَرَتِهِ لِمَنْ عَاشَرَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ..... 29
ذِكْرُ أَخْلَاقِ هَذَا الْعَالِمِ وَأَوْصَافِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ 30
ذِكْرُ سُؤَالِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ عِلْمِهِمْ مَاذَا عَمِلُوا فِيهِ() 38
كِتَابُ أَخْلَاقِ الْعَالِمِ الْجَاهِلِ الْمُفْتَتِنِ بِعِلْمِهِ 41
وَصْفُ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ 62

مركز الأثر للبحث والتحقيق

00213665846124
markzalathar
markzalathar@gmail.com